الطبعة الثانية

Twitter: @ketab_n
8.11.2011

الصندوق الأسود

حكايات مثقفين سعوديين ...

عبدالله المغلوث



عبدالله المغلوث

الصندوق الأسود...
حكايات مثقفين سعوديين

الكتاب: الصندوق الأسود...
حكايات مثقفين سعوديين

المؤلف: عبدالله المغلوث

التصنيف: حوارات ثقافية وإعلامية
إصلاح سياسي - السعودية

الغلاف: فيصل المغلوث

الناشر: مدارك إبداع، نشر، ترجمة وتعريب

الطبعة الأولى: يناير (كانون الثاني) 2011
الطبعة الثانية: يونيو (حزيران) 2011

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9953-566-14-6

almaghlooth@gmail.com

الكتاب متوفر على الإنترنت:
مكتبة نيل وفرات. كوم
www.nwf.com



Tel.: 009611 282075 - Fax: 009611 282074
Gharios Center. Forn Elchebbak. Beirut - Lebanon
www.mdrek.com - read@mdrek.com
P. O. Box: 50074 Forn Elchebbak - Lebanon
سنتر غاريوس، الطابق الرابع، فرن الشباك، بيروت - لبنان

عبدالله بن أحمد بن عبدالله المغلوث

- مواليد 1978م.
- كاتب أسبوعي في جريدة الوطن السعودية.
- يدرس الدكتوراه في الإعلام الإلكتروني في جامعة سالفورد ببريطانيا منذ سبتمبر 2009م.
- حاصل على ماجستير في تقنية المعلومات والإدارة من جامعة كلورادو، ولاية كولورادو، الولايات المتحدة الأمريكية.
- عمل في عدة صحف ومجلات عربية وسعودية مثل: الرياض، واليوم، والحياة، وإيلاف، والقافلة، وفوربز.
- رئيس العلاقات الإعلامية في أرامكو السعودية عام 2006م.
- رئيس اللجنة الإعلامية لقمة أوبك الثالثة في الرياض، نوفمبر 2007م.
- صدر له عن دار العبيكان للنشر عام 2008م كتاب: (أرامكويون... من نهر الهان إلى سهول لومبارديا).

almaghlooth@gmail.com

إهداء

إلى أبي الذي رسمني وأمي التي لونتني.

عبدالله

المحتويات

د. سليمان الهتلان

عبده خال

ليلى الجُهني

محمد العلي

نداء أبو علي

مقدمة

ظللت سنوات طويلة أتابع الكثير من الأقلام السعودية بمتعة. لكن كنت أتساءل كلما زاد إعجابي بما يخطه يراعهم: من هؤلاء؟ أين نبتوا؟ ومع من يقيمون؟ كيف وصلوا إلينا؟ ماذا يأكلون وماذا يشربون؟ ما هي همومهم؟ من يضحكهم؟ من يغيظهم؟ أضحت حياتهم الشخصية وطقوسهم الخاصة شغلي الشاغل. لم أجد سبيلا للحصول على إجابات تخمد سعير الأسئلة التي تشتعل في داخلي إلا بمقابلتهم. نشرت المقابلات في صحيفتي «إيلاف» و «الوطن» في الفترة ما بين 2004 إلى 2009.

اكتشفت لاحقا أن الفضول لا يسكنني وحدي تجاههم بل يقطننا أجمعين. استوقفني الكثير من الأصدقاء ليسألوني عن خفايا زواج بدرية البشر وناصر القصبي التي أوردتها في الحوار الذي أجريته معها. وأشبعوني نقاشا حول الثوب القصير الذي ارتداه تركي الدخيل بعد عودته من الحج واستعرض مقاسه في حواري. تحدثوا طويلا عن رعي سليمان الهتلان للغنم الذي استهل

به اللقاء. طاردتني استفسارات غفيرة حول زواج الشاعر السني أحمد الملا بالمصورة الشيعية ريم البيات الذي أماط اللثام عن تفاصيله في لقائنا. سُئلت كثيرا عن قُبلة خديجة ناجع التي تلقاها بترحيب محمد العلي وتحدث عنها بحبور في حوارنا!

تأبينا للأسئلة الماضية وإحياء لذكراها أضع هذه الحوارات بقضها وقضيضها بين أيديكم. أضع صندوقي الأسود في متناولكم.

عبدالله المغلوث

نوفمبر (تشرين الثاني) 2010

مانشستر، بريطانيا

ارتدى ربطة عنق في حفل زواجه وأثار حفيظة قبيلته(*)

الشاعر أحمد الملا... السني الذي تزوَّج شيعية!

من يتصفح الشاعر أحمد الملا فسيجزم بأنه خرج من رحم نخلة. عيناه البنيتان تمرتان وفمه نواة، وأطرافه أغصان يانعة.

نبت أحمد الملا في حي الكوت بالهفوف عام 1961 وسط غابة كتب. كان والده يعنِّفه بنظراته ولسانه عندما يدنو أو يقترب منها. برع في إخفائها عنه وعن إخوته الستة رغم ولعه الشديد بها. يقول أحمد: «كان يخشى أن تفسدنا». الأشواك التي زرعها والده بينه وبين الكتب جعلته يزداد شهوة تجاهها، لكنه لم يستطع

(*) نشر في 29 مارس 2008.

أن يلمس أياً منها إلا عندما بلغ 12 ربيعاً. وذلك عندما طلب منه والده أن يجلب له عصاه من غرفته في العيد. سال لعابه في الغرفة بعد أن وجد كتاباً يستلقي داخل كيس شفاف. مزق أحمد الكيس بارتجال كما يمزق الغزاة أسوار المدن، وصار يقلب صفحاته على عجل خشية أن يقبض عليه والده متلبساً بالجرم المشهود.

الغموض الذي وجده في الكتاب والرسوم التي تسبح فيه جعلاه ينسى العالم برمته ويخفض تدريجياً من سرعة تصفحه. لم يجد أحمد نفسه إلا أسفل السرير يقرأ بدهشة فاغراً فاه غير مكترث بالعالم والكلمات الغليظة التي تنتظره في الخارج.

لم يدرك أحمد أن ما قرأه هو النسخة المترجمة لرواية «الفرسان الثلاثة» للفرنسي ذائع الصيت، إسكندر دوماس إلا بعد سنوات عديدة. وهي رواية ظهرت عام 1844، وتصور جانباً من الحياة التي كانت تعيشها فرنسا في عام 1625 في عهد الملك لويس الثالث عشر. فقد شهد ذلك العهد اضطرابات ومكائد ومنازعات ومصادمات. وزادت الرسوم الشيقة الدقيقة التي تجسد الأحداث وقتئذ الرواية فتنة وإثارة.

مُدن عنصرية

ساهمت تلك الرواية في بداية علاقة ملتبسة بين أحمد ووالده، وأحمد ومحيطه، حيث بات شغوفاً بالقراءة الحرة والأفكار المتمردة.

يتذكر أحمد أنه اصطدم بأبيه، بعد تلك الحادثة بسنوات قصيرة، عندما قاد حملة مع إخوته لإزالة بعض أشجار النخيل من بستانهم لبناء استراحة وسطها كجيرانهم. قوبلت حملتهم بالرفض الشديد؛ كون والده كان يعتبر النخلة فرداً من الأسرة، وكان يسألهم «هل رأيتم أحداً اقتلع ابنه من جذوره؟» لكن أحمد وإخوته لم يستسلموا حتى تحققت رغبتهم. يتذكر أحمد عندما بدأت الجرافة في اقتلاع أشجار النخيل، وقف والده أمام إحداها مستشيطاً: «لن أسمح لكم بإزالتها». وبرر والده ذلك بقوله «لو نبتت تلك الشجرة في ظهري فلن أقتلعها أو أدعكم تقتلعونها»، إذ تمثل هذه الشجرة الكثير لوالده؛ لأنه شهد لحظات غرسها ومخاضها بمعية جده.

صار شكل الاستراحة «غرائبياً» بعد بنائها على حد قول أحمد، حيث تظهر نخلة وسطها تخترق سقف المجلس وتزاحم الضيوف بأغصانها الناحلة الطويلة ورائحتها.

اتسمت مراهقة أحمد بالبساطة، فقد ترعرع وسط «مجتمع متسامح»، يخلو من التمييز والعنصرية على حد تعبيره. يحك أحمد رأسه، ويتناول سيجارة جديدة وينفث الدخان عالياً «لم يكن هناك فرق بين الناس برغم انتماءاتهم المختلفة». يقارن السبعينات بالوقت الراهن «أصبحت مدننا مقسمة إلى أحياء طبقاً للانتماء المناطقي أو المذهبي».

ولا يغفل أحمد مرحلة مهمة في حياته تتمثل في التحاقه بفريق «هجر» لكرة القدم في الأحساء، أحد أندية الدرجة الأولى في المملكة، والذي مثله لفترة قصيرة قبل انتقاله للرياض لدواعي الدراسة.

سنوات خصبة

التحق أحمد بجامعة الرياض (الملك سعود حالياً)، وتخصص في علم الاجتماع. يتذكر من زملاء الدراسة في كلية الآداب التي انتسب لها الكاتب والقاص سعد الدوسري، والصحفي والإعلامي سلطان البازعي والكاتب الدكتور مبارك الخالدي، والفنان الراحل بكر الشدي. ولا ينسى عندما استعار منه الأخير في أولى مسرحياته في الجامعة فانلته التي تحمل شعار نادي الزمالك المصري، حيث كان يقوم بدور شاب مصري في المسرحية.

هطل شعراً أثناء المرحلة الجامعية، عندما كتب القصيدة التقليدية والتي حظيت بتشجيع زملائه ومن حوله. ورغم أن الشعر غمره خلال وجوده في الرياض إلا أنه ظل مأخوذاً بالأحساء التي كانت تسكنه وتبدو على معالمه وأغصانه. يبوح في قصيدة خطها بسعفه «أغصانُنا الغضّةُ لمّا تزل خضراءَ يومَ تنادتْ إلى الماء».

بعد تخرجه عام 1983، عاد إلى مسقط رأسه مباشرة، انضم إلى أسرة جامعة الملك فيصل. وافق على وظيفة في المرتبة السادسة رغم أن مؤهله وقتئذ يمنحه وظيفة بالمرتبة السابعة وفق أنظمة ديوان الخدمة المدنية. وقَّع على ورقة بالموافقة على العمل بمرتبة أقل لعدم وجود وظيفة شاغرة في المرتبة التي يستحقها. يقول: «كنت متحمساً للعمل في عمادة شؤون الطلاب وترجمة أحلامي. لم يكن لدي وقت أهدره في انتظار ما لا يجيء».

سرعان ما انطفأت حماسته في العمل بالأحساء، بعد أن ارتطم بقيود اجتماعية قوَّضت مواهبه واندفاعه، وحملته إلى فرع الجامعة بالدمام المجاورة، تبعد 180 كيلومتراً عن الأحساء. وفي الدمام، حيث الرطوبة ارتدى قصيدة النثر بعد أن استهوته مبكراً القصيدة التقليدية.

العام 1984 شهد زواجه الأول من ابنة عمه، الشيخ الراحل عبد الله الملا، أول جامعي في الأحساء والمنطقة الشرقية ومؤسس أول مكتبة تجارية في الأحساء.

زواجه الأول الذي لم يدم أكثر من 9 سنوات أثمر مالك (مواليد 1986) ونورس (مواليد 1988)، ومحاولات شعرية وصحفية جادة.

تعاون مع صحيفة «اليوم»، التي تصدر من الدمام، وأشرف على صفحات ثقافية بمشاركة شاكر الشيخ، وحسن السبع، وعبد الرحمن السليمان وسمير الفيل. ويعتبر الملحق الثقافي الذي كان يساهم فيه «إحدى أهم الصفحات الثقافية التي أنجبتها المؤسسات الصحفية السعودية». لم يكدر صفو تلك السنوات الخوالي سوى انفصاله عن زوجته وعن الجامعة.

شعر وصحيفة

يعزو طلاقه من جامعة الملك فيصل إلى عزله عن العمل مع الطلاب إثر توزيعه «كتب محمود درويش، وروايات جابريل ماركيز على طلاب الجامعة». يقول: «كان التيار الديني مسيطراً على الحياة الاجتماعية».

قدم أحمد استقالته طواعية عام 1994 غير آسف على السنوات التي قضاها في الجامعة مؤمناً أن أكثر ما يعنيه هو أن يعمل في مؤسسة تشرع الأبواب ولا تغلقها.

ابتعاده عن العمل الحكومي ساهم في انكبابه على الشعر. أصدر مجموعته الشعرية الأولى «ظل يتقصف»، وأتبعها بـ «خفيف ومائل كنسيان».

في عام 1996 تزوج ثانية من ابنة رجل الأعمال والإعلامي المعروف فيصل الشهيل الذي كان يمتلك صحيفة «الرياضي» آنذاك. وربط الكثيرون بين عمله في صحيفة «الرياضي» التي التحق بها فيما بعد وبين زواجه. وتفاقمت تلك الأحاديث بعد أن تم إعفاء رئيس تحريرها السابق الدكتور مبارك الدوسري وتعيينه بديلاً. يوضح بعد أن نفث الدخان مرتين، راسماً جسداً مترهلاً في السماء يحول بيني وبين رؤيته: «من الطبيعي أن أحل محله؛ كوني كنت مديراً لتحرير الصحيفة آنذاك».

ونفى صحة الأنباء التي تحدثت عن انقلاب قام به للإطاحة بمبارك بالتعاون مع الإعلامي وليد الفراج الذي كان يعمل سكرتيراً للتحرير آنذاك، مشيراً إلى أنه بذل وزملاؤه في التحرير جهداً

كبيراً في سبيل ردم الهوة بين مبارك ومجلس إدارة «الرياضي»، ما يدحض تلك الأنباء – على حد تعبيره– لكن «جرت الرياح بما لا تشتهي السفن» والكلام لأحمد.

وأكد الملا أنه ظل رافضاً لأن يتولى رئاسة تحرير «الرياضي» لمدة سنة كاملة، حيث كان مكلفاً، ما يعكس «عدم وجود نوايا سيئة». ولم يغلق أحمد الباب تماماً أمام التكهنات التي تحدثت عن دور العلاقة الاجتماعية في وصوله لسدة رئاسة التحرير عندما قال: «قد يكون القرب الاجتماعي له دور».

ولا يجد أحمد ضيراً في الإشارة إلى دور الفراج في إدارة الصحيفة عندما كان يتولى رئاسة تحريرها موضحاً: «لعب وليد دوراً مهماً في الصحيفة، هو صحفي متميز وجاد في عمله وما زال». وأشار أحمد إلى أن العمل الصحفي ليست له علاقة بالتخصص، فهو يعتقد أن الصحفي يحتاج إلى مهارات ومواهب خاصة، بغض النظر عن خلفيته الأكاديمية أو الثقافية. ورغم أنه انفصل عام 2003 عن زوجته الثانية و «الرياضي» إلا أنه ظل محتفظاً بتقديره الكبير لها ولأبيها، ويصفه بأنه «عميق واستثنائي وديمقراطي».

رزق أحمد من زوجته الثانية بمشعل (مواليد 2001)، ويعيش حالياً في جدة مع أمه. بينما يعيش ولداه مالك ونورس في الدمام

مع أمهما. وأكثر ما يؤرق أحمد حالياً هو التئام أبنائه؛ كونهم في مدينتين بعيدتين «ما يحول دون اجتماعهم على نحو يسعدني».

المفاجأة

فوجئ الوسط الإعلامي ثلاثاً عندما شاهدوا صورة أحمد الملا في صحيفة «اليوم» قبل عامين. المرة الأولى لأنها برفقة نبأ زواجه، وهو الذي طلق الزواج بالثلاث كما كان يردد دائماً بعد الزواج الثاني. والمرة الثانية لأنه كان مرتدياً بذلة رسمية وربطة عنق حمراء، ما يشكل اختراقاً للتقاليد السعودية. والثالثة لأنه اقترن بفتاة شيعية، وهو القادم من أسرة دينية سنّية شهيرة في الأحساء.

يقول أحمد: «لم يكن هدفي الاصطدام بالمجتمع، النشر تم بمحض الصدفة»، حيث يؤكد أحمد أن المحرر الذي نقل وصوّر الزواج، وهو الصحفي خالد المطيويع، لم يكن مدعواً لحضور الزواج، بل كان قادماً للفندق الذي استضاف الحفل لتغطية مناسبة أخرى. وعندما علم بنبأ زواج الملا في إحدى قاعات الفندق حرص أن يلتقط صورة له. يقول أحمد: «الأمر لم يزعجني، ولكن يزعجني من يعتقد أنني تعمدت أن أدعو الصحيفة، وأذيع الخبر على رؤوس الأشهاد تحدياً للمجتمع». يكمل: «أحترم المجتمع لكن

لا ألبي كل طلباته». وعن لبسه البذلة يبرر عضو مجلس النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية «لا توجد لدي رغبة لارتداء المشلح (البشت). واللباس شأن شخصي».

وأرجع إقامته لحفل زواجه في قاعة احتفالات عامة إلى رغبة زوجته ريم البيات، التي كانت تتطلع إلى أن يقام لها حفل زواج، كونه زواجها الأول وهو «لن يقف حائلاً بينها وبين حق مشروع لها». واعترف أحمد وهو يبتسم، أن زواجه لم يكن «قراراً شعبياً»، حيث احتج عليه الكثير من أفراد عائلته.

ولا ينكر أحمد أنه عرض موضوع زواجه على ابنه مالك الذي يدرس في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران، وابنته نورس التي تدرس في جامعة الأمير محمد بن فهد بالخبر قبل الإقدام فعلياً على هذه الخطوة.

يقول بعد أن ارتخى جسده وترقرقت دمعة نافرة من عينيه: «كان هدفي أن يعرفا قبل الجميع. لم يضايقني احتجاج نورس وزعلها. الاختلاف ظاهرة صحية، وعلينا أن نعتاد عليه خاصة مع أبنائنا».

هز أغصانه، وأطلق سراح ابتسامته المسجونة داخل قفص صدره، عندما سألته عن مدى خشية زوجته الجديدة من زواج رابع يزيحها عن طريقه. يزأر: «لست مزواجاً». يتابع: «المزواج من يتزوج من أجل الزواج. أنا لست كذلك».

يشير أحمد إلى أن زواجه الثالث جاء من غير تخطيط، فقد أعلن إضرابه عن الزواج بعد زواجه الثاني، لكن مشروعاً ثقافياً جمعه مع زوجته الجديدة، وهي مصورة فوتوغرافية، هدم جداراً كان يحول بينه وبين الاقتران بامرأة من جديد.

يبوح : «عندما التقيتها شعرت بقرب لا يتحقق في مجتمعنا إلا بالزواج. وأنا مقتنع به كشراكة حقيقية».

قبل أن أودعه سألته عن سر لحيته التي يغرق فيها وجهه؟ هل هو آخر البوهيميين أم مارسيل خليفة جديد نبت في الجزيرة؟ يجيب: «الأمر لا يحتمل أي تفسيرات؛ إنه الكسل»

الكاتبة الصحفية
والروائية السعودية بدرية البشر
هاتفتُ ناصر القصبي
فطلبني للزواج(*)

تكتب الروائية السعودية بدرية البشر كأنها تخبز الكعك، تفوح من مقالاتها الصحفية وقصصها التي استعرضتها في ثلاث مجموعات قصصية رائحة الحليب، السكر المطحون، الكريمة المخفوقة، والفانيليا. ليس الجوع وحده الدافع إلى قراءتها فحسب بل التفاصيل الصغيرة التي تسكبها في سطورها بمتعة وجنون. في حوار من حلقتين تبوح أستاذة علم الاجتماع الدكتورة بدرية البشر بقصة زواجها من الممثل السعودي الشهير ناصر القصبي، وعلاقتها مع جريدة «الرياض» قبل وبعد انفصالها عنها، وحارتها القديمة التي بدأت منها، فإلى الحوار:

(*) نشر في 22 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.

الحائط القصير!

تتذكر القاصة بدرية: «ولدتُ في الرياض في حي شعبي، اسمه «دويرة سلام» ، منذ زمن، لا يعرفه أحد حتى أبي الذي سجلنا بشكل عشوائي في دفتر العائلة. ولولا فطنة أمي وإجادتها لحفظ الأرقام لما عرفت متى ولدت، لكنها قالت لي لا تخبري أحداً!».

تضيف: «في حارتنا القديمة أتذكر الفجر المرعب الذي كنت أصحو فيه وأذهب أحياناً لشراء الخبز، لا أدري لماذا كانت مهمتي أنا شراء الخبز ولا أدري لماذا لم ترسل أمي أخي الأكبر؟ هل هو دلال وحظوة بمناسبة أنه الولد الذكر، أم أنني كنت الحائط القصير الذي تستطيع أمي قهره ليطيع أوامرها؟!».

التمرد الذي يتضح جلياً في سطور البشر لم ينبت صدفة، يعود إلى أمسياتها القديمة: «كنتُ ألعب فيها مع الأطفال خاصة الذكور، فقد كنت أملّ من لعب البنات الرتيب والساذج. كنت أحب الأكشن، قيادة الدراجات والقفز على الإطارات الفارغة، كنتُ أجد في الصبية رفقة أكثر متعة وإثارة من لعب البنات».

عالم غير عادل

تسألني: «هل قلت لك مثلاً عن موت الطفلة -ابنة البائع اليماني في حيِّنا- التي وقعت في حفرة الزيت وغرقت؟»، طفولتها مخزن هائل من الذكريات تستعين به عادة لملء مشاهد من القصص التي تكتبها، تقول: «مخزن لا أظن أنه يفرغ أبداً، خاصة أن المشاهد التي امتلأ بها حينا تزيد قليلاً عن أفلام هيتشكوك بكونها محلية صرفة ولا خيال فيها، وتجعلك تؤمن أن الواقع أحياناً أثرى من الخيال».

جاء دوري لأسألها: من منحك أول قلم؟ أجابت بعد أن التقطت أنفاسها: «في بيتنا لا يمنحون أقلاماً، إلا الأقلام على الطريقة المصرية، خاصة أن والديَّ لا يجيدان الكتابة، وأنا كنتُ الابنة الكبرى، جاءني أول قلم مع مشتريات طلبات المدرسة لكنني منذ عثرت عليه لم أنفك عنه أبداً».

انشغلت بدرية بالأسئلة الكونية العصية على الإجابة في مراهقتها «فوجئت بعد إدراكي للعالم الذي سجنتني فيه حقيقة أن جسدي كبر، وما عاد لي من هذا العالم غير نافذة البيت المسورة بالقضبان بينما رفاقي الصبية يلعبون الألعاب ذاتها، وأدركت أن

العالم غير عادل معي! من هنا بدأت أسئلتي الصعبة لماذا ومتى وكيف، شغلت بهذا الأسئلة ورحت أفتش عن أجوبتها التي قادتني للقراءة». تغطس رأسها في الذكريات: «لم تكن مراهقتي مراهقة أنثى صغيرة إلا بما يكفي للتزود بطعام عاطفي، غير هذا كانت مراهقتي مراهقة فيلسوف يفتش عن حكمة جديدة خاصة به ومستقلة».

من خرج أولاً من جسدها عندما بدأ يتفتح: الشاعرة أم القاصة؟ ترد: «الشاعرة هي من خرج أولاً، طفولتي بدأت برص الكلمات الموزونة التي تتحدث عن شواغلها وبحثها عن الحقيقة الضائعة والعدالة الضائعة وعن الحب والحنان. ثم صرت أكتب قصصاً عن الشاب الفقير الذي يحب الفتاة الغنية ثم ينتصر الحب في النهاية مثلما تنتهي أفلام السينما المصرية بالأبيض والأسود».

المريول

لـ «المريول» - الزيّ الذي ترتديه الطالبات السعوديات في المراحل الدراسية الثلاث قبل دخول الكلية - حكايات مع أستاذة علم الاجتماع ترويها: «مررت بثلاث مراحل للمريول الرمادي ثم الأزرق ثم البني أذكر مع المريول الرمادي أول قصة اكتشفتها

في الصف الثالث الابتدائي، قصة «سندريلا» مع صديقة في المدرسة، أتذكر كيف سُحرت بالقصة، وكيف تعرفت على متعة القراءة التي لم تفارقني من يومها». تصفها: «سحر الحكايات المكتوبة كان أجمل من سحر حكايات والدتي وجاراتها المرعبة عن اللصوص والعقاب الأخروي». أما مع مريول المرحلة المتوسطة أي الأزرق، فتقول عنه: «كنت أرتاد مكتبة المدرسة وكان فصلنا مثل كل الفصول يرتبك عند مداهمات التفتيش الدورية من مراقبات المدرسة، وفي حين كان يسقط من عباءة تلميذة أحمر شفاه ومن الأخرى مرآة، ومن ثالثة رسالة غرامية، كنت أُسحب للإدارة بتهمة حيازة كتاب». تعترف: «كان لساني طويلاً يحاجج، فسألت المدرِّسة يومها: تحثوننا على القراءة ثم تصادرون الكتب التي تجدونها معنا؟! وعينك ما تشوف النور، على الرد، خدي ظل أحمر يومين. أما مع المريول البني في الثانوية، فكلها قصص تعترض عليها الرقابة».

مشهد حب

متى تزوجتِ ناصر؟ تحمل السؤال على كتفها وتسافر: «عندما تزوجت ناصر كنا لا نزال أنا وإياه هواة، هو مهندس زراعي توظّف حديثاً في وزارة الزراعة ويمثل في بعض المسلسلات، وأنا طالبة

في الجامعة تنشر بعض القصص القليلة في الصحف، وكبرنا سوياً لنصبح كاتبة وفناناً، دون أن نشعر بأي فرق، فقط الناس يسألوننا مثلما تسأل أنت ولا نعرف الإجابة، كبرنا مع بعض دون أن ندرك الفروق السبعة قبل التغيير وبعده».

كيف تبلورت علاقتهما؟ تتدفق: «كنتُ أعرف أنه فنان مشغول بالفن وليس بالزراعة، بل كان أسوأ ما فعله في حياته هو قص أشجار حديقتنا وتركها فارغة، لكنني كنت أعرف أنه فنان حقيقي ونبيل، وهو أيضاً عندما تعرَّف علي أثناء دراستي الجامعية كنت أكتب القصة وأشارك في مسابقاتها وأفوز أحياناً». تكمل: «وكنتُ أمثل على المسرح مشاهد كوميدية، وألعب السلة كان يعرف أن لي نشاطات مختلفة، ربما هذا ما استوقفنا عند بعضنا البعض، فحين اتصلت به مرة وأنا طالبة في الجامعة طلبت منه أن يكتب لنا مشهداً مسرحياً لمسرحية نهاية العام الجامعي وعدني بأن يفعل لكنه تأخر، وفي النهاية قال لي: سأكتب لك المشهد لكن بشرط، قلت: موافقة، قال: تتزوّجينني!».

«الرياض» و «اليوم»

كتبت في جريدة «اليوم» التي تصدر من الدمام (شرق السعودية)، لماذا غادرتها على حين غرة؟ تقول الكاتبة الصحافية

عن تجربتها السابقة: «كتبت في جريدة «اليوم» بعد تخرجي من جامعة الملك سعود، تحمس لي زملاء طيبون احتفوا بقلمي أمثال شاكر الشيخ وحسن السيع، ومنحوني زاوية أسبوعية ظننت حينها أنني أهم كاتبة أسبوعية، إلا أنني توقفت بعد سنتين عندما اكتشفت أنني لا أجد جريدة «اليوم» إلا في مكتب الجريدة في الرياض وفي البقالة التي تحت بناية المكتب، عدا ذلك فالحصول على الجريدة كحصول المفتشين الدوليين على السلاح النووي في العراق».

أما عن ظروف انتقالها إلى جريدة «الرياض» التي تصدر من العاصمة السعودية، فتجيب: «كنت أكتب في مجلة «اليمامة» الأسبوعية زاوية أسبوعية ثم شعرت أن عقلي الصحفي بدأ يعمل بطاقة تزيد عن مرة في الأسبوع. أردت زاوية شبة يومية (ثلاث مرات في الأسبوع)، فاتصلت بأبي عبد الله الأستاذ تركي السديري، وطلبت منه أن أكتب زاوية قال لي: الجريدة جريدتك وأنت ابنة «الرياض».

الجني يقتل النساء وينجو من العقوبة! أمثالنا العربية جبانة مثلنا(*)

تقول الشاعرة والصحافية حليمة مظفر أنها شاهدت القاصة والكاتبة السعودية بدرية البشر لأول مرة في ملتقى المثقفين السعوديين الأول العام الماضي من بعيد جداً، لكن «شاهدتها بعمق أكثر حينما سمعتها تتحدث واقفة أمام خادم الحرمين الشريفين، تلقي كلمتها نيابة عن الأديبات السعوديات في لقائه بالمثقفات السعوديات الذي عقد مؤخراً، وحينها تحدثت مرتجلة كلماتها أمامه بصدق ووفاء لما تحمله معها في جعبتها من آمال». الكثير من السعوديات يعتقدن أن بدرية من الوجوه اللافتة التي تمثل المرأة السعودية الجديدة عبر شجاعتها وموهبتها وصمودها

(*) نشر في 25 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.

أمام الانتقادات والاحتجاجات... في الجزء الثاني تكمل البشر بوحها وشفافيتها في حوارها:

عنصرية

تعرضت الكاتبة البشر لهجوم لاذع عبر مجالس ومنتديات إلكترونية، هل تحرص على متابعة الهجوم أم تغمض عينيها وأصابعها أمامه؟ تقول بدرية في البدايات حاولت التعرف على وجهة النظر التي تنشر حولي ولا تتفق معي، لكنني تأكدت أن معظمها هو صراخ متشنج في الهواء». وتعتقد أن بعضهم «لا يريد أن يعرف سوى ما في جعبته يدَّعي أنه المالك الوحيد للحقيقة والمحتكر للمعرفة، وهو المتصرف الوحيد بها، هؤلاء لا يمكن أن يضيفوا لك شيئاً سوى أن تتعرف على النماذج التي يفرزها التعصب والعنصرية والجهل ورفض التغيير، وهذه الأمراض الاجتماعية منتشرة كثيراً في مجتمعنا وعلاماتها بادية في منتديات الحوار الشاب للأسف». وتراقب المشهد: «كأنه مشادة تحت نافذة منزلي، أسمعها ولا أراها وأرغب أحياناً بفتح الشبَّاك لأطلب منهم البحث عن مكان آخر (يتهاوشون فيه)!».

«حبة الهال» خرجت على نحو مدهش بدءاً بغلافها ونوعية الطرح في جسدها، بماذا تختلف هذه المجموعة عن «نهاية

اللعبة»؟ ترد: «شكراً أولاً للإطراء، ثانياً بين حبة الهال ونهاية اللعبة عشر سنوات من الارتحال في مناكب هذه الحياة والتزايد المستمر بالتعرف على خيباتها ومتعها ومعارفها، لكن في «حبة الهال» حاولت أن أقول شيئاً مختلفاً. فبعد مجموعتي الأولى «نهاية اللعبة» والثانية «مساء الأربعاء» أردت العودة لواقع ما قبل النفط، قبل التغيُّر في مظاهر حياتنا الخارجية المذهل والذي لم يصاحبه تغيُّر كبير في المضمون». ماذا كانت تبحث عنه؟ «أردت أن أشير إلى واقع امتلأ بالخرافة والأساطير. التفكير الخرافي الذي يؤمن بأن الجني يقتل النساء، فلا يحاكم الفاعل طالما أن الجني يحمل عنه التهمة، أردت القول بأن ماضياً مليئاً بهذا الكم من الخرافة وقهر النساء لن تؤدي مظاهر النفط السريعة إلى قلب موازينه وأعرافه وتقاليده دون مشروع جاد وعميق ومركز طويل المدى، لتنويره وتعليمه وتهذيبه وإشاعة كافة أنواع المعارف فيه وكشفه للضوء الحقيقي الشمس».

استشارة وليست استخارة

كيف استطاعت مغادرة جريدة «الرياض» والقبول بعرض «الشرق الأوسط»؟ ماذا فعلت خلاف «الاستخارة» لاتخاذ القرار؟ تجيب: «قصدك الاستشارة!، لم يكن سهلاً اتخاذ القرار، كنتُ أكتب في «الرياض» زاوية شبه يومية وفي الصفحة الأخيرة،

وكانت مفاصلي الكتابية قد اعتادت الركون. هذا النوع من الأمان الجغرافي والنفسي. التغير واحد من أعداء الكمون والاستقرار، عندما جاء عرض «الشرق الأوسط» رفضته للمرتين الأوليين، قلت لهم إن القناعة كنز لا يفني، وقبلت فيما بعد». واكتشفت لاحقاً «أن أمثالنا العربية تشبهنا، جبانة وتخاف التغيير. فقررت من يومها ألا أصدق كل ما أسمعه من الحكم والأمثال الشعبية. عرفت أن عصفوراً حراً على الشجرة أفضل من عشرة عصافير مسكينة في اليد تتعاطى أدوية مضادات الاكتئاب لأنها لا تقوم بوظيفتها (الغناء)».

تختلف رؤية بدرية للكتابة اليومية، تعبر عنها قائلة: «على عكس ما يتصوره البعض فإن الكتابة اليومية ممتعة، أكثر أمتاعاً من المقال الأسبوعي وشبة اليومي. إنني أشبّه الكتابة اليومية بمن يقود سيارته في طريق سريع ناعم ومفتوح، بينما الكتابة الأسبوعية أو الشبه يومية كمن يقود سيارة في طريق يضطر فيه للتوقف كل مرة عند إشارة حمراء أو من جراء الازدحام. أعرف كم يصعب هذا التشبيه على فهم النساء في بلادي، اللواتي لم تتهيأ لهن تجربة قيادة سيارة».

هل تفكر في التخلي عن الكتابة اليومية لمصلحة مقالات تطبخها على نار هادئة؟ تقول: «لقد قررت أن أتفرغ للكتابة تماماً،

بعد أن أدركت أن مشواري العلمي يكفيه من الشهادات الفاخرة التي سأعلقها في مكتبي، من ماجستير في الأنثربولوجي ودكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، أدركت أن طريقي المعرفي شبه الطويل، كان مجرد طريق يثري كتابتي لا أكثر، لهذا فإنني تفرغت لأكتب المقال الصحفي ثم أجد بعده وقتاً كافياً لأعود أعكف على روايتي التي ستخرج قريباً. لدي من النيران ما يكفي لطبخ قدرين. فلطالما اهتممت بطبخ قدور متعددة قدر الأطفال، وقدر الزوج والمنزل، والسفر وحيدة طلباً للعلم والمعرفة وفي كل الأحوال كنت أكتب القصص واليوم الرواية».

تؤمن الدكتورة البشر أنها ليست جديرة بالفتوى في ما يتعلق بتأييد زواج الأدباء من بعضهم البعض من عدمه، لكنها لا تتستر على رأيها: «لست بالمفيدة في الفتوى لمن يصلح لمن، لكنني دائماً ما أمنح الجائزة للحب في مسابقات الزواج، كل شيء يمكن تعويضه، لكن الحسرة على حب ذهب أو ضاع بسبب سوء تقديرنا، لها في القلب وشم يتذكره المرء طويلاً ولا ينساه».

ألا تعتقدين أن الاهتمام الإعلامي بالروائيات السعوديات أكثر من أشقائهن الذكور؟ تخنق السؤال: «هل هذا تقييم عنصري؟ حسناً سأحسن الظن بك، ظهور النساء في المجتمعات المحافظة كمجتمعنا، دائماً ما يسبب هذا النوع من الضجيج، فهو إما ضجيج

بمحاولات المنع والملاحقة والتشهير والمعاقبة، وإما بالتشجيع والتصفير والتصفيق، لكن في الأخير كل هذه الضوضاء تهدأ ويبقى العمل الفني هو القيمة الحقيقية والوحيدة للحكم».

الأطفال ووالدهم

هناك توجس من انصرافها عن القصة إثر تركيزها على المقالة، ترد: «حتى أنا كنت قلقة كثيراً، كنت أشعر بأنني كمن سُرق من بيته ليوضع في المصنع، لكنني مع الوقت شعرت أن الكتابة الصحفية تقدم للكاتب جمهوراً يحتاجه لينشر اسمه، خاصة في بلادنا السعودية حيث لا يسمح لبعض الكتب بالدخول ومن ضمنها كتب لي، كيف يمكن أن تصل لقارئك دون هذه الصحافة؟!». تتابع: «الكتابة الصحفية تثيرك، تجعلك على صلة بالناس، فتعرف كيف يفكر قطاع كبير من مجتمعك، ونوع الأفكار التي يتداولها هؤلاء البشر. الكتابة الصحفية مرَّنت قلمي ومنحته لياقة عالية وصحية وأنا اليوم أُسخِّر هذا التجارب والمعرفة ومرونة القلم لأكتب الرواية، بل على العكس الكتابة الصحفية بعد أن أعطتني اسماً جيداً ودخلاً جيداً أعطتني مهارة ونضجاً». غموض يكتنف الحديث عن أطفالها تبرره: «الحديث عن أطفالي من أمتع الأحاديث لقلبي، لكنني لا أفعل هذا عادة إلا مع والدهم».

السفر

كيف تقرأ الجريدة، مستلقية، واقفة، جالسة على الأرض أو على مقعد؟ «أقرأها في الصباح وأنا أشرب الشاي مقابل نوافذ واسعة تكشف لي الشمس وشارع حيّنا الذي يساعدني عادة «لأصفن» أي أسرح طويلاً في ما أقرأه وأفكر». تهرب القاصة بدرية من الهمّ. «بالكتابة والسفر، أحب الكتابة، تروّح عني بعض الغضب والهمّ. لكن عندما تتثاقل الهموم ويصعب حملها تلوح لي الطائرات التي تمر في السماء بالحل، فأقفز قائلة: نعم هذا هو: السفر السفر». وتنام مبكراً سوى في عطلة نهاية الأسبوع: «منذ أصبحت أحترف الكتابة صرت أنظم لنفسي جدولاً يبدأ منذ السادسة صباحاً، وهذا الجدول بالطبع يجعلني أفكر في الفراش عند الحادية عشرة باستثناء عطلة الأسبوع التي أترك لصديقاتي فيها تحديد موعد نومي».

الإعلامي تركي الدخيل

عُدتُ من الحج
بثوب إلى نصف الساق(*)

لم تعد أحلام الصحافي السعودي مسجونة في صدره كعصافير بأجنحة ناقصة، لم تعد تلك الأمنيات التي يطلقها الأصدقاء صغاراً على مسامع الجدات ذنوباً ينصرفون عنها، لا يركضون نحوها، لم تتبخر التلفزيونات التي يزرعها الأطفال في دفاترهم وينبت في داخلها مذيعون باسمون! ظهور تركي الدخيل وإعلاميين مزدهرين أخيراً في السعودية أعاد الثقة لشبان طالما رددوا بأصوات مخبوءة رغبتهم في الحلم.

تركي يشبهنا تماماً، كان يغطي صباحاً كتبه المدرسية بسجادة تسكنها صورة الحرم المكي الشريف وبوصلة تسافر باتجاه القبلة،

(*) نشرت في 28 أكتوبر (تشرين الأول) 2004.

طبعت عليها أمه رائحتها ودعواتها، يلفها بعناية ويحملها ويرحل إلى المدرسة المتوسطة التي شهدت محاولاته الإذاعية الأولى، وعلى بلاطها فرش سجادته وصلواته وعلى جدرانها نقش تجاربه الصغيرة.

المذيع في قناة (العربية) تركي الدخيل يتذكر عندما قال لرئيس تحرير مطبوعة سعودية: «إن الرياضة تلهي شباب الأمة عن الواجبات التي يجب أن يضطلعوا بها، وبالتالي فأنا لا أستقيل فحسب، بل أدعوك ومن خلفك إلى أن تقتدوا بي وتحذوا حذوي».

ثلاث إجابات يحققنها الدخيل (من مواليد 1973) هنا يرد عبرها على خطيب هاجمه في صلاة الجمعة، يروي تجربته مع الالتزام والتدين، الصحافة، وبرنامج «إضاءات».

هروب من المدرسة

نشأ تركي محموماً بالأنشطة اللامنهجية، مأخوذاً بالمناشط الثقافية: «لم أكن خارقاً. كنت مثل باقي جيلي. صحيح أني لم أكن أمضي إلى مدرستي راجلاً لأن والديّ اختارا لي مدرسة بعيدة عن المنزل ما يقتضي استخدام السيارة». ارتبط بالمايكروفون باكراً،

قبض عليه بضمير، يهتز منزل أسرته عندما يحين موعد ظهوره: «لا زلت أذكر أني كنت مهتماً كثيراً بالإذاعة المدرسية، وعندما يحل يوم إعدادي لها فإني كنت أقلب البيت ليلتها، ولا زلت أذكر أني كنت أخرج للمدرسة قبل أن يبزغ الصباح استعداداً لدقائق خمس كنت أقوم فيها مرتجلاً التقديم أمام المدرسة التي كان عدد طلابها كبيراً مقارنة ببقية المدارس».

يفشي لي سراً: «تصدق أني كنت أهرب من الثانوية، ولكن ليس إلى حيث يقضي أقراني وطرهم، أو يستنفدون متعتهم، بل إلى مكتبة الملك عبد العزيز العامة، حيث كنت أقرأ فيها كُتباً بعيدة عن المنهج الذي يلزمني به أحد. من أمتع اللحظات التي كنت أعيشها لحظاتي هارباً من دراستي إلى اختياراتي من القراءة. هل هذه فلسفة أم سفسطة أم شيء آخر؟ أصدقك أيضاً أني لا أدري!»، يتابع: «وسط هذه الظروف وغيرها نشأت يا سيدي عندما كنت يافعاً».

جريدة (الرياضية) التي تصدر من الشركة السعودية للأبحاث والنشر وتصدى لرئاسة تحريرها عند بدايتها الصحافي الرياضي السعودي عبد العزيز شرقي، خطفت ألباب الكثير، تركي الدخيل أحدهم، كيف يصف هذه العلاقة مع الصحيفة الوردية (كما يحلو

لأنصارها مناداتها)؟ يجيب: «كنت أتابع (الرياضة) مثل غيري من شباب جيلي الذين لم يجدوا أبواب الاهتمامات مشرعة ليختاروا منها ما يريدون، كانت الرياضة أشبه ما تكون بجهة خُلِع جدارها كله، فأصبح الفضاء الواسع والتوجه الجمعي باباً لها، كانت بالفعل أحد متطلبات حياتنا».

الدخيل، لن ينسى أن فريقه المفضل ساهم بطريقة أو أخرى في ولوجه عالم الصحافة، يروي هذه القصة الطريفة: «كنت أتابع في (الرياضية) مهنية عالية لدى زميلنا الأستاذ خلف ملفي، وفي بداية المرحلة الثانوية قرأت تصريحاً في ثناياها وُقِّع باسم مدير العلاقات العامة في نادي النصر رداً على الزميل الصحافي خلف ملفي، فاستفزني التصريح معتقداً أن أوله ينقض آخره، وآخره ينقض أوله. اتصلت بملفي وسألته بصوتي الطفولي قائلاً: ما موقفك من الرد المنشور اليوم ضدك؟ فوجئ بالسؤال، وتحفظ على الإجابة. قلت له إني أعني أنه سيرد أو أن نرد نحن؟!». يضيف تركي: «لا أدري لماذا استخدمت ألفاظ الجمع ونحن التفخيم هنا؟ أكنت أريد أن أغطي على ما بدا من عمري طرياً ومن صوتي غضاً أم أنه فخر من أدرك تهافت الرد المنشور؟ أصدقكم أني لا أدري أو لا أذكر»، وتابع الدخيل: «قال لي خلف: هذا أمر متروك لك! قلت له نصف ساعة ويكون الرد على مكتبك». يكمل الصحافي

السعودي روايته: «بعد ساعة وصلتُ مقر الصحيفة، وجدتُني أمام ملفي الذي امتلأ وجهه بعلامات تعجب تتكاثر بسبب صبي يافع يقف أمامه ولم يخط شاربه، مع رد من أربع صفحات يلمح فيه الكاتب إلى أن العلاقات العامة بنادي النصر لم تكتب تعقيبها، بل كتبه رئيس النادي، وأن من حقه أن يكتب لكن لماذا لا تكون لديه الجرأة لإعلان شخصيته؟!». يقول تركي إن ملفي قال له: «اسمح لنا بأن نصورك؟ سألت لماذا؟ فقال لننشر صورتك مع الرد حتى لا يعتقد أحد أني أنا الذي كتبت الرد. سكتُ وقد امتلأت نشوة لو وزعت على من كان يمر حينها بشارع الستين في الرياض حيث كانت مكاتب الصحيفة لوسعتهم وزيادة».

دعوات العجائز

مقدم برنامج «لقاء مع الصحافة» الذائع الصيت تيم ريسرت -تبث البرنامج قناة nbc الأميركية صباح كل أحد- كان ينهمك بين الحصص وأثناءها برسم عجوز بردانة طوال سنوات على كراسته، يقول ريسرت: «لم أنس العجوز التي صرفتُ 3 سنوات في رسمها، قبل أن أفرغ من المرحلة المتوسطة، اشتريت لها لحافاً طفيفاً وضعته أمام دفتري ومضيت إلى الثانوية، قطف الله دعواتها من أجلي، فصرتُ كبيراً ويحبني الناس». (من لقائه في

جريدة سن – اسنينشل)، تركي الدخيل ماذا كان يرسم؟ يتذكر: «كنتُ أكتب عبارة واحدة بإسهاب، هذه العبارة ترددها عجائزنا ببذخ، إنها: يا الله سترك. كنت أتفنن في رسمها منذ كنت صغيراً. اليوم عقلي وقلبي يرددها ويزيد: وستار من خلقك».

يجلس وحيداً في المنزل، يرسم أبواباً لصحف، لكنها لا تفتح، انكسر وانجرح، ثابر حتى وصل إلى المدخل، يفتش تركي في ذاكرته عن تفاصيل بداياته الصحافية: «كنت حينها أحاول أن ألج أبواب الصحافة لكن كل شيء كان موصداً».

يحكي عن الباب الأول: «ذهبت مرة إلى جريدة «الجزيرة» مساء، سألتُ عن أكبر مسؤول في الجريدة، فقالوا لي إنه الزميل خالد الدلاك، وكان حينها رئيساً للقسم الرياضي، طلبته فنزل ليقابلني عند مدخل الجريدة. قلت له إني رئيس جمعية الصحافة في ثانويتي، وإني أتمنى أن أتدرب على الصحافة. قال لي كيف؟ استغربت إجابته، لكني أجبت: أن أخرج مع من يجري مقابلة لأرى كيف تتم المقابلات، وكيف يسأل المحاور ضيفه. أو أن أجلس مع فريق الإخراج لأرى كيف تُرسم الصفحات».

باغته الدلاك بسؤال يتذكره تركي جيداً: «سألني: هل أنت جامعي؟ وكان في شكلي دلالة بارزة على الإجابة. ومع ذلك أجبت

بالنفي، ربما تأكيداً للمؤكد. فقال: نحن لا نُعَيِّن إلا الجامعيين. قلت لا أريد أن أتعيّن، أريد فقط أن أتدرب، أن أتعلم. قال لي: ولا ندرب إلا الجامعيين! انصرفت منكسراً. وكان من طرائف الصحافة التي واجهتها، أني اكتشفت بعد فترة أن القسم الذي يديره الزميل الدلاك فيه نحو عشرين صحافياً ليس من بينهم إلا جامعي واحد، هو ليس بطبيعة الحال خالد الدلاك. أصبح الدلاك صديقاً بعدها، وتندرنا على القصة كثيراً».

حديث الأبواب

لم يدفن الدخيل حلمه، مضى إلى الباب الثاني، تعالوا نُصغِ إلى طرقه: «يمّمت وجهي نحو جريدة «الرياض» وسألت حارس الأمن عن رئيس التحرير. قال لي السوداني مستغرباً بعد أن تفحصني من أعلى رأسي حتى أخمص قدمي. أنت متأكد من أنك تريد رئيس التحرير؟! أجبت بثقة: نعم. قال لي إنه مسافر. قلت: أنا لا أريد شخصه. أريد من يقوم مقامه. واصل استغرابه واتصل بالهاتف فقال لي إن هناك سكرتير التحرير الزميل حمد العسكر». هل التقيت سكرتير التحرير؟ يجيب تركي: «نعم، وقال لي ابعث لنا أخبار مدرستك لننشرها في زاوية شباب. كان الملحق الرياضي في الرياض يحتل صفحات الوسط وفي صفحته الأخيرة

ثلاثة أعمدة لزاوية شباب. قلت له: أنا أكره هذه الزاوية. فتعجب! واصلتُ: لأنها تقتطع سطورها من صفحات الرياضة. ابتسم وأنهى المقابلة». رغم سخطه من زاوية شباب، انبرى للكتابة في النافذة الوحيدة: «أرسلت له أخباراً من المدرسة، منها خبر عن معرض كتاب أقمناه ونشر بعد ثلاثة أشهر من تاريخ إرساله، بعد أن صرف أصحاب المكتبات كل قرش جاءهم من معرض مدرستنا، لكن ذلك لم يمنع من تكريم المدير لي وشكره وثنائه على إبرازي لأنشطة المدرسة».

استقلالية وراتب صغير

كنس تركي أحزانه الصغيرة، لملم أجزاءه، تماسك وانطلق، يتكلم الدخيل عن الصعوبات وكيف تجاوزها، يقول: «خلال هذه الأشهر الثلاثة داهمني اليأس، فرأيت أن الصحف لن تستطيع أن تُقَيِّمني بمجرد تقديمي لنفسي، فقررت أن أقوم بعمل صحافي متكامل بشكل شخصي وأقدمه ليعبر عني. اخترت موضوعاً يوافق اهتمامي الرياضي آنذاك وهو: أثر الزواج على مستوى اللاعب ارتفاعاً وانخفاضاً».

يضيف: «بالفعل حصل ما أردت. وكان العمل دلالة جيدة لي، نشر بعدها في مجلة «الجيل» السعودية. بعدها عرفني بعض

الصحافيين، فانخرطت في صحيفة «الشرق الأوسط» مراسلاً رياضياً، ثم جاءت حرب الخليج وقدمت تحقيقات وموضوعات في مطبوعات الشركة السعودية للأبحاث والنشر، فنشرت في «المسلمون» بضعة تحقيقات وفي «الظهيرة» التي كانت تصدر مساءً لتغطية الحرب من الشرق الأوسط، وعندما خبت نار الحرب ظهرت صحيفة بدلاً من «الظهيرة» هي «الصباحية»، وكانت فريدة في أسلوبها، إذ إنها صحيفة يومية تتعاطى مع الأخبار الطريفة والمختلفة ولا تتعاطى مع السياسة بتاتاً، إلا من خلال عامود واحد في الصفحة الثانية منها».

عمل في «الصباحية»، كثر الحديث حول تلك الصحيفة البائدة، ماذا يقول تركي عن تجربته في سمائها؟: «ترعرعت بالفعل في «الصباحية» لكنها كانت نبتة في غير أرضها. فالمجتمع لم يتعود على الصحف ذات التوجه المختلف».

اتجه تركي إلى الصحافة في سن مبكرة، ما موقف والده؟ ينهمر: «ساعدتني الصحافة منذ البداية على الاستقلالية، وبالنظر إلى المرتب الذي كنت أحصل عليه والذي بدأ ببضع مئات مُقَطّعة إرباً إرباً في الشهر الذي أعمل فيه كما يفعل المتفرغون، ثم تمدد شيئاً فشيئاً».

أحاديث كثيرة تتناول عدم إنصاف الصحافي مالياً، يرى الدخيل: «لا بد أن تعطي الصحافة كلك لتعطيك بعضها... وأذكر أني في الوقت الذي كانت مماطلات مالية تمارس معي بدعوى أني مبتدئ، كنت منقطعاً تماماً عن الارتباطات الاجتماعية والأسرية، فقد كنت أنتظر الخروج من المدرسة لأرمي بكتبي الدراسية وألتقط لقمة ثم أنطلق إلى مكتب الجريدة في «عكاظ» التي انتقلت للعمل في مكتبها في الرياض».

انصرافه عن الواجبات الاجتماعية، خلق أسئلة ترافق والده، يصفها: «خلال تلك الفترة التي كانت المكافآت متقطعة فيها، سألني والدي وهو يعمل في التجارة مهنة أسرتي، لماذا أنقطع عن اجتماعات الأسرة؟ فقلت له إن العمل هو السبب. سألني: كم يعطونك راتباً؟ قلت له ثلاثة آلاف – ما يعادل 800 دولار أميركي- كان رقماً فلكياً بالنسبة لي واخترعته لأني لو قلت له إن شهراً آخذ فيه مائتي ريال وشهراً خمسمئة وثالثاً أخرج صفر اليدين منه، لاتخذ موقفاً عدائياً من فكرة العمل الصحافي». ما رد والدك حينها؟، يجيب : «قال لي سأعطيك أربعة آلاف واحضر اجتماعاتنا! قلت له سأحضرها دون أن تدفع لي شيئاً. على اعتبار أنه تاجر لم يرفض، وعلى اعتبار أني صحافي لم أستطع أن أجد وقتاً لأداء هذا الواجب».

لماذا غادر مدينة الرياض؟ سؤال يستيقظ، يجيب الدخيل: «انتقلت من أجل الصحافة، وأنا في ريعان الشباب إلى جدة للعمل في المكتب الرئيسي في جريدة «الصباحية»، بعد أن عدت إليها من جديد، لأنهم عرضوا علي فارق 300 ريال عن الراتب الذي كانت تدفعه لي «عكاظ» وكان 2500 ريال!».

ثوب قصير

بعد عام طرأ تحول مهم وفاعل في حياتك الشخصية، دعنا نصغي إليه تمطر أصابعه: «أجبرتني والدتي -رحمها الله- وأنا في السابعة عشرة من عمري على الحج. كنت في جدة وقد كانت تطلبني بإلحاح، وتتذرع بضرورة أن أكون محرماً لها ولأختي التي كانت للتو بلغت. وجرياً على عادة يبدو أن معظم أهل القصيم يسيرون عليها فإنهم يُحجِّجون بناتهم فور بلوغهن حتى يسقط عن الزوج فرضها، وقد استفدت من هذه الخدمة بعد زواجي... حقاً إنه عدل بيِّن».

يتابع حديثه: «بعد موافقتي اغتسلت ونويت الحج، واستقلّيتُ سيارة أجرة وقد بدأت أفكر في كيف ستكون حياتي بعد الحج، فخلقت تصوراً أني سأصبح مسلماً متنوراً أحافظ على الواجبات،

لكني سأظل أستمتع مثلاً بالموسيقى الكلاسيكية التي كانت تلامس شغاف قلبي. كانت والدتي تحج في حملة تابعة لشقيقها، وهو عضو فاعل في جماعة التبليغ، ويبدو أن اتفاقاً نشأ بينهما لاختيار شخصية لافتة تلازمني للتأثير علي، لجهة تحويلي ملتزماً كما كنت أيام المتوسطة». شعر تركي أن هناك اتفاقاً بين أمه وشقيقها لتغيير أسلوبه، يقول: «أنا مولع باللماحين والأذكياء واختاروا شخصاً متوقد الذهن، حادّ الذكاء، فلزمته باستمتاع طوال الحج وعدت من حجي ملتزماً أحمل همّ الأمة على كاهلي الصغير آنذاك».

ماذا فعلت فور عودتك؟ يرد: «عدتُ بثوب إلى نصف الساق من رحلة الأيام الأربعة إلى الحج وكتبت خطاب استقالة إلى رئيس تحرير «عالم الرياضة» على غرار رسائل: أَسْلم تسلم، فإن توليت فإن عليك إثم شباب الأمة جميعاً!».

ماذا قال في صدرها: «قلت له إن الرياضة تلهي شباب الأمة عن الواجبات التي يجب أن يضطلعوا بها، وبالتالي فأنا لا أستقيل فحسب بل أدعوه ومن خلفه إلى أن يقتدوا بي ويحتذوا حذوي». وكيف كانت إجابته؟ «رد علي رئيس التحرير بأنه طوال ربع قرن من العمل في الصحافة لم يسمع أو يقرأ استقالة كهذه، ودعا الله

أن يفتح عليه كما فتح عليّ! غني عن القول إني انتشيت بإشاراته إلى فتوحات الله على العبد الفقير إلى الله».

زوجتي أغنتني عن التردد على الغواني(*)

لا يحمل حقيبة سوداء خشنة، لكن يخبئنا في جيوبه، نصغي إلى أصواتنا عبر أسئلته التي تُعَبِّر عما يتخللنا. ليس بعيداً، نمد أيدينا فقط لنصل إليه مذيع برنامج «إضاءات» تركي الدخيل حقق انتشاراً واسعاً أخيراً، بسبب لقاءات مثيرة أجراها عبر برنامجه الذي يبث على قناة «العربية» وإذاعة بانوراما FM. عمل في صحيفة «الرياض» السعودية أثناء المرحلة الثانوية، والتحق بجريدة «عكاظ» ثم انتقل إلى مطبوعات الشركة السعودية للأبحاث والنشر، عبر «الشرق الأوسط»، «المجلة، الصباحية» «الظهيرة»، و«المسلمون». يقول مذيع العربية عن فترة مضت: «كنتُ تركي الذي يختار له آخرون ماذا يقرأ، ولمن يقرأ، ومن

(*) نشر في 1 سبتمبر (أيلول) 2004.

يصاحب، ومن يحب، ومن يكره». يروي تركي ظروف انتقاله من الصحافة إلى الإذاعة، طقوسه التي يمارسها بعد إذاعة حلقاته ودور زوجته في نجاحه.

تسلل

يعترف تركي بأنه لم يتسكع في الأسواق، ولم يرم رقماً على فتيات، ولم يقض الساعات على سماعة الهاتف، يبوح: «تزوجت صغيراً وأنا في العشرين من عمري، وأعتقد أن زوجتي حافظت على شبابي، إذ أغنتني عن التردد على الغواني والتسكع في الطرقات وإضاعة الوقت في البحث عن هدف لا يمكن أن يحتسب، لأن من يسعى لتسجيله في موقف المتسلل!»

يمتدح دور زوجته في نشاطه وحيويته: «عندما أغنت ملهمتي وزوجتي عاطفتي، وأثرت بيتي بثلاث شمعات، وتولت إعدادهم وتربيتهم وتهيئتهم، أحسست وخلفي هذا الطود الشامخ وجبل الثقة والصمود والأمنيات المتمثل فيها، أن من لا يسير وهذه خلفيته، حقيق بأن يتوقف على الدوام عن السير، وأنا رجل أعشق الحركة، فمضيت لا ألوي على شيء».

هجرة

لماذا هجرت الالتزام، وتمدد الثوب؟ يجيب: «لم أهجر شيئاً عدتُ إلى حيث كنت، إنساناً عادياً، مسلماً مسالماً، لا تسيرني الآيديولوجيات وأفعال الأمر والنهي، كنتُ تركي الذي يختار له آخرون ماذا يقرأ، ولمن يقرأ، ومن يصاحب ومن يحب، ومن يكره، ووجدت أني رغم ضعف قدراتي، إلا أن لدي الحد الأدنى من القدرة على الاختيار، وتحديد مواقفي من الأشياء، فآثرت أن أكون أنا أنا، لا أنا غيري، هذا باختصار كل ما هنالك». أين الدخيل عن رفاق الماضي؟ يعلق: «يجب أن أقول إني لا أُحَمِّل زملائي وأصدقائي في تلك المرحلة أي ذنب أو أصمهم بسوء، لكني وجدت أني لا أناسبهم، واخترت لي طريقاً آخر. بقي أن أقول إن العديد من أصدقاء تلك المرحلة لا زالوا على صلة بي، وأنا على صلة بهم، وبيننا محبة وتواصل مثل كل خلق الله».

خلفية تركي الدينية تقفز أمام من يحاوره، تشعرك بأنه ملتح سابق، ما زال دهن العود والبخور يعلق في صوته: «تلك المرحلة أثرتني كثيراً وساهمت في بناء لبنة مهمة من نسيجي وتكويني، ربما تشعر بها، وأنا مدين لها بالكثير من الفضل»، وفي الأثر: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

أضعف الإيمان

داود الشريان صحافي سعودي مهم، زاويته «أضعف الإيمان» التي سافرت كثيراً، برفقة أمتعتها وقلقها، ما زالت تزور الذاكرة وصورة داود معتمراً شماغاً (كوفية) وعقالاً مائلاً، أذكر جيداً كيف يتكدس القراء في مكاتب صحيفة «اليوم» بحي البادية -شرق السعودية- عام 1996 للاطلاع على زاويته اللاذعة طازجة، تركي عاصر الشريان في «الحياة» ماذا يقول عنه؟: «أبو محمد رجل فاضل. لا أصدق من هذا الوصف في تقديري يمكن أن يليق به. قد يغضب منك داود الشريان أحياناً بلا سبب يبدو لك، ثم يرضى عنك بعدها بساعات، ربما يغضب البعض من ذلك لكن كل من يعرف داود جيداً يدرك أن قلبه الأبيض لا يجعله يعرف للحقد مكاناً، ولو بدا مغضباً أو متجهماً».

يشرح الدخيل داود بإسهاب: «يمكن لداود أن يمارس معك في البداية قسوة، حتى تظهر معدنك، لكنه والشهادة لله، يدعم كل مجتهد ويدافع عن كل من يريد العمل». ويتابع تركي: «لم أر داود الشريان يوماً يخاف من منافسة موظفيه، وغيره يقحم اسمه مع الأخبار المتميزة التي يأتي بها من هم تحته إدارياً، ولو لم يدر عن الخبر أو يسع إليه، لكنها النفوس الصغيرة. أنا متأكد أن مثل هؤلاء لم يسمع ببيت أبي الطيب:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام».

كعينيه الواسعتين، كان تركي كريماً: «عملت مع داود الشريان في «المسلمون» قبل «الحياة» بسنوات. وبقي هو كما هو، صارماً جميلاً مهنياً إنساناً...».

أيقونات

الرابع عشر من أكتوبر (تشرين الأول)، عام 2000، تلقيتُ اتصالاً من الصديق عائض (الحربي الصحافي حينها في جريدة «الحياة» بالسعودية) بعد شهر من انتقالي للدراسة في ولاية «يوتاه» (غرب أميركا)، أرسلني الاتصال الأخير إلى الضفة، إلى الزميل تركي الذي سبقني إلى أميركا وتحديداً «أورقن»، أخبرني عائض عن وجود صديقنا المشترك في الجوار، قطفتُ رقمه، هاتفته على جناح السرعة، صنعنا زوارق من أصواتنا وأنهاراً من أسلاك تربطنا، شيّد موقع جسد الثقافة http://www.jsad.net زرع في يومه الأول 3 ابتسامات، وزعها في أنحائه ورابعة على وجهي يقول: «أواه، أي قطاف أعظم من رسم الفرح على الوجوه؟ كانت فكرة جسد الثقافة ولا تزال، إنه منتدى للتحريض على الإبداع، يقوم على تشجيع الفن، وتدريب الراغبين في تطوير أنفسهم

جمالاً. اعتقد أنها غاية سامية. لذا أنا استمتع بالفكرة في أصلها وبنتائجها».

وجود تركي في أميركا لم يمنعه من مزاولة موهبة تنزلق من أصابعه شارك في تأسيس جريدة ومنتديات «إيلاف»، يضع تركي يده على جبينه يتذكر: «إيلاف مشروع طلائعي، فعندما يقرر صحافي قضى حياته بين جنبات المطابع ورائحة الألوان والأوراق أن يجازف بأعوامه الخمسين في مشروع إلكتروني فهو ينتصر لجيلنا الذي يعاقر التقنية منذ نعومة أظافره. هذا النوع من التحدي يستهويني، فانبريت له. أعتقد أن عثمان العمير أتاح لي فرصة أن أكون أصغر واحد ضمن فريق من الكبار ساهم في تأسيس إيلاف ومنتدياتها بطبيعة الحال».

يتساءل: «لا زالت إيلاف تعني لي الكثير، كما عثمان. ولا أدري هل يجذبني نحوهما الريادة أم المهنية أم المحبة، أم كل ذلك؟».

الحياة

هل هناك حرب ضد الكفاءات السعودية في جريدة «الحياة»؟ غادرها تركي ورهط من الرفاق بعد أن ضخوا في شرايينها مواد

لافتة، يصفع تركي علامة الاستفهام السابقة، تنحني: «مللت هذا السؤال. يخوض كل إنسان منا حرباً مع نفسه، هل لديه ما يستحق البقاء والظهور أم لا؟ تمتد هذه الحرب أحياناً عندما تقل قدراتك ويقينك بما لديك، فتصيب شظاياك الآخرين، إما بدوافع إقليمية أو عرقية، أو حتى شخصية. غني عن القول إنك حينها تُلْبِسُ كل ذلك لَبوس المهنية وتُغلفه بأغلفة الموضوعية، هذا يحدث في كل المؤسسات الصحافية والمناخات الإبداعية، و«الحياة» ليست استثناء في ذلك».

ويسترسل الدخيل: «لكني لم أخرج من «الحياة» لأني حوربت. لو فعلت ذلك لكنت منهزماً وأنا أكره الانسحاب والهزائم، لو بقيت في «الحياة» لما أجريت معي هذا اللقاء، ولما تعرفت على هذا الجمهور الجميل العريض الذين ساهمت شاشة «العربية» ومايكروفون «بانوراما» في تقديمي لهم، ولو لم أكن يوماً في «الحياة» لما أقبلت عليَّ «العربية»».

لاءات وإضاءات

لم يخطط تركي للعمل مذيعاً، يفسر: «نحن قوم لاءاتنا كثيرة، فمن (لا توسط عندنا) إلى (لا تخطيط لدينا)، يا قلب لا تحزن.

قليلة هي الأشياء التي خططتُ لها. خططت أن أكون إعلامياً، لكني لم أنتق الوظيفة ولا المسمى الوظيفي، ولا المهام التي يجب أن أضطلع بها. وكذا كوني مذيعاً».

يُرجع سبب نجاحه إلى خلفيته الصحافية: «أُفَضِّل أن أقدم نفسي على اعتبار كوني صحافياً لا مذيعاً. لا أنتقص من زملائي المذيعين، لكني لم أتقدم لاختبار مذيعين، بل جئت للمايكروفون من بلاط صاحبة الجلالة واعتقد أني أضفت بخلفيتي الصحافية شيئاً. لو كنت مذيعاً فحسب لما أثرتُ نقعاً».

مايكروفون، نام على كتفه قلق تركي، يروي الصحافي الدخيل لحظاته الأولى مع الأثير: «بدت المحاولة في «إضاءات» في بدايتها، تحمل شيئاً من التوجس، فأنا أقدم على تجربة جديدة، بالنظر إلى كون خبرتي السابقة إعلامياً، كلها كانت في صحافة الورق، جرائد ومجلات، أما الآن فأنا أمام مصطلحات جديدة. بَثٌّ على الهواء ومايكروفون، وكاميرات، وصوت، ومخرج ومهندس، وفي هؤلاء من يأمُرُكَ وينهاك، وإن تلطف اكتفى بالإشارة دون أمر ونهي».

ويردف: «لا أريد أن يبدو الموضوع اختراعاً، لكنه في البداية يحتاج إلى بعض الجهد، ثم يتحول روتيناً. هذا في ما يتعلق بالجوانب الفنية».

ولكن كيف انتقل من الإعلام المقروء إلى المسموع؟ يستدعي تركي الذكريات: «استمرت علاقتي مع (الحياة) طيلة سبع سنوات، وانتهت في صيف العام 2002، حيث انتقلت للعمل مع mbc و«العربية» في دبي رئيساً لقسم الخليج في غرفة الأخبار، كانت mbc تنوي تدشين إذاعة جديدة مع إطلاق قناة «العربية» الإخبارية، لتبث على موجات أف أم، إلى جانب شقيقتها mbc FM».

يُكمل: «خلال بدايات عملي تجولت على رؤساء الأقسام في «العربية» و mbc، و mbc FM، ومررت على حسن معوض مدير إذاعة mbc FM، والإذاعة الجديدة التي أصبح اسمها الآن بانوراما FM فقال لي إن الزملاء الذين تعاملوا معي في العام 1997 يوم كنت مراسلاً سياسياً للإذاعة في السعودية، يرشحونك لتقديم برنامج، فما رأيك؟».

استمتع بعرض مدير إذاعة mbc: «راقت لي الفكرة، وكنت أفكر بها من قبل، لكني كنت أريد أن أعطي الأمر مداه الطبيعي، وأن أجعل الزملاء في مكاني الجديد يقتنعون بقدراتي ثم يمكن الحديث عن أفكار يمكن لي أن أقدمها، فوافقت على الفور».

كيف نُفِّذت الفكرة على أرض الواقع؟ يجيب الدخيل: «قال لي حسن معوض، بأني يجب أن أعمل حلقة تجربة لاكتشاف ملاءمتي

المهنية والفنية لتقديم برنامج. كان الزملاء عادة ما يجرون التجربة باستضافة زميل واعتباره الضيف الحقيقي، ثم يطرحون عليه الأسئلة في الموضوع الذي يجربون فيه، لكني آثرت أن أتعامل مع التجربة كما لو كانت حلقة حقيقية».

يتابع تركي: «كانت ذكرى مرور أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) على الأبواب، وكان تقرير صادر عن معهد أبحاث يتعامل مع وزارة الدفاع الأميركية يتهم السعودية بأنها عدو حقيقي للولايات المتحدة الأميركية، فلم أجد أنسب موضوعاً للحلقة من: أثر الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) على العلاقات السعودية - الأميركية، فبدأت أبحث بعدها عن أنسب الضيوف لهذا الموضوع».

يسترجع مذيع برنامج «إضاءات» تفاصيل الحلقة الأولى: «كنت أدرك أن تيارين سعوديين متباينين في الموقف تجاه أميركا بدآ في التبلور، فرأيت أن أَنْسَبَ اثنين يمكن أن يمثّلا التيار هما عبد الرحمن الراشد، رئيس تحرير جريدة «الشرق الأوسط» آنذاك، والدكتور أحمد بن راشد بن سعيّد أستاذ الإعلام في جامعة الملك سعود. كان الأول ليبرالياً، والآخر إسلامياً، والأول بطبيعة الحال يميل إلى أميركا، والثاني يعاديها تماماً مع أنه تخرج من إحدى جامعاتها».

يضيف: «كما استضفت هشام ملحم ليبين لنا، باعتباره أميركياً من أصل عربي، وجهة النظر الأميركية، بالإضافة إلى صالح الفريح رئيس نادي الطلبة السعوديين في كاليفورنيا، ليكون شاهداً على وضع الطلاب السعوديين في أميركا، إبان الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) وبعده. دور صالح الفريح كنت أستطيع أن أقوم به على أكمل وجه، فقد كنت وزوجتي وأطفالي ندرس في أميركا، قبل وأثناء وبعد كارثة سبتمبر، لكني كنت سأدير الحوار، ولم أشأ بدافع مهني أن أكون طرفاً فيه، ولا يجب أن أكون كذلك».

هل عُرضت الحلقة؟ يرد تركي: «سجلت الحلقة وَوُوفِق عليها، وبثت مع الذكرى الأولى لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، ثم بدأت بعدها في تقديم البرنامج بشكل أسبوعي، من مقر إقامتي في دبي، إلى أن انتقلت في مطلع العام 2003 إلى السعودية، فأصبحت أقدمه من الرياض أو جدة».

وعن اختيار اسم البرنامج، يقول: «كان حسن معوض يريد أن يكون البرنامج بعنوان «العالم في أسبوع»، أو «الخليج في أسبوع»، لكني رفضت وآثرت أن يكون عنوانه «إضاءات»؛ كي لا يكون محدوداً في التعاطي مع الموضوعات السياسية فقط، بل يتناول الديني والثقافي والاقتصادي والاجتماعي، إلى جانب السياسي، وكان لي ما أردت».

رقص

مذيع قناة FOX الصحافي نيل كافوتو (مواليد 1967)، يستمتع بمطالعة حلقاته وحيداً، يغلق مكتبه جيداً، يخفض صوت التلفاز حتى يصمت يتأمل في وجهه بشدة وهو يحاور ضيوفه: «أتابع حركة أصابعي، ارتعاشة أهدابي، ملامح الضيوف وهي تفترس أسئلتي، شعور عظيم يفسده صوت زملائي وهم ينهشون حلقتي خلف الباب الصغير الذي يفصلنا». (من مقابلة أجرتها روكي ماونتنز). تركي، ما هي طقوسه؟ كيف يحتفل بحلقاته؟ يجيب: «أتراقص في داخلي وأتمايل كالأطفال بلعبهم الجديدة. أود أحياناً لو أقفز وإن كان هذا متعذراً بسبب حجمي الكبير. لكن المتعة التي تجتاحني تحرضني على أشياء يمكن وصفها بالجنون، وأبشرك بأنها لا تتجاوز الأفكار».

تركي الدخيل
يرد على إمام الجامع(*)

لم يهبط تركي الدخيل وربطة عنقه الذهبية من السماء، كافح بإخلاص في سبيل إثبات مهنيته وجدارته، حشر جسده وسط الصفوف الطويلة في وزارة الهاتف بالرياض لمدة ساعتين للحصول على هاتف ثابت، غادر مسقط رأسه الرياض غرباً إلى جدة بسبب 300 ريال سعودي (نحو 80 دولاراً)، حقق نجاحاً كبيراً بعد مجهود سخي وزّعه في أرجاء أجهزة إعلامية سعودية وعربية مختلفة.

يرد مقدم برنامج «إضاءات» على الشيخ سلطان العويد الذي هاجمه من على منبر جامع الإمام فيصل بن تركي في الدمام (شرق السعودية)، يتذكر بنشوة نجاحاته الإذاعية التي لحقتها

(*) نشر في 3 سبتمبر (أيلول) 2004.

نجومية تلفزيونية: «في تلك المرحلة انتشيت كما لم يفعل شيخ أصاب جماعاً على كبر وهرم!».

يبوح الدخيل: «مستمع يحذرني أن تكون نهايتي كنهاية الراحل صالح العزاز». وكشف تركي في الجزء الأخير من حواره كواليس الحلقة التلفزيونية الأولى مع غازي القصيبي ورسالته إلى الوزير السعودي.

رسالة إلى الوزير

قدمه برنامج «إضاءات» للناس بشكل أكبر، فالآلاف لم يكونوا يعرفون أن تركي الدخيل كان صحافياً، ركض في عالم البحث عن الخبر، في صحف مثل «الرياض»، «عكاظ»، «الشرق الأوسط»، «المسلمون»، «المجلة»، «الجيل»، وأخيراً «الحياة»، عانى كثيراً منذ التحاقه بعالم الإعلام متعاوناً في العام 1989، ومروراً باحترافه العمل في العام 1994، في مجتمع لا يحفل بالإعلام كثيراً.

يتذكر: «ذهبت ذات يوم لمراجعة وزارة الهاتف بالرياض، للحصول على هاتف لشقتي، يوم كان الحصول على هاتف بالنسبة للمواطن، يحتاج إلى مفاوضات ماراثونية أشبه بمفاوضات انضمام

السعودية إلى منظمة التجارة العالمية. قال لي زميل يكبرني سناً: أنت صحافي، والوزير الجديد (حينها) الدكتور علي الجهني يعرف -لأنه مارس الكتابة في الصحف- قيمة الهاتف في منزل الصحافي. اذهب له وقل له ذلك».

هل اتبعت نصيحة صديقك؟ «نعم، وتوجهت بخطابي الذي كتبته بما يفيد حاجتي لهاتف سأدفع تكاليفه، لكني أتمنى التكرم علي بخطه، وعندما جاء دوري بعد ساعتين من الانتظار في الصفوف، جلست إلى جانب الوزير وقلت له إني صحافي، احترفت الصحافة منذ فترة. فالتفت إليَّ معاليه بزهو، وقال مقاطعاً ومعلقاً: عَزّ الله احترفت الفقر»!.

خيبة كبيرة تغلغلت في داخل الدخيل بسبب جملة الوزير السعودي السابق، يشرح: «آلمتني كلمته جداً، وبخاصة، وميزتي التي يعتبرها البعض عيبي، أني أعشق مهنتي حد الهوس! هل قلت لكم إن هذا العشق في غير وسطة يُعتبر على صاحبه وبالاً؟! إذا محاسني اللاتي أدلو بها كانت عيوبي فقل لي كيف أعتذر؟!».

يوجه تركي رسالة إلى الوزير المتقاعد: «نحو عقد كامل أوشك على الأفول منذ كلمتك تلك التي ربما نسيتها يا معالي الوزير لكنها

لا تزال تجلجل في أذني، وأقول اليوم لك يا دكتور علي، كما تمنيت أن أقول لك بالأمس، إننا لم ولن نحترف الفقر، وإن المجتمع الذي تصبح الصحافة فيه فقراً هو مجتمع كسيح، ولا أحسبُ، كما لا أرجو، أن يكون مجتمعنا كذلك».

مياه راكدة

على مدى عامين تقريباً هما عمر البرنامج في الإذاعة، ثم بضعة أشهر في التلفزيون حقق «إضاءات»[1] نجاحاً كبيراً وحضوراً لافتاً في الساحة الإعلامية والثقافية، ويرجع الدخيل أسباب النجاح إلى تحريكه المياه الراكدة، يقول: «لا أزال أذكر جيداً أن الشيخ وليد البراهيم، رئيس مجلس إدارة mbc، وأحد الذين دعموا البرنامج بقوة، قال لي مرة: «لم تواجهنا مشاكل مع الإذاعة بقدر ما جاءنا من برنامجك»، وفي نظري أن ذلك مقياس نجاح جيد، فالإعلام الذي لا يحرك المياه الراكدة لا يقوم بأدواره كما يجب. ولأن البرنامج حرك مياهاً راكدة فقد كانت ردود الفعل متباينة من حلقة إلى أخرى، بحسب الموضوع والضيف».

تعرض الدخيل لهجومات كثيرة بسبب جرأته: «عشرات المكالمات تنهال على هاتفي الجوال -وهو غير معلن بالمناسبة-

(1) بدأ «إضاءات» العام 2004 على قناة «العربية»، ولا يزال مستمراً حتى صدور هذا الكتاب في العام 2011.

من متصلين، معظمهم يستنكر استضافة ضيف ما، لأنه منحرف فكرياً في تقديرهم، أو لأنه يريد أن يبث سمومه في آذان المستمعين، بحسب تعبيرهم، أو.. أو...».

يسترجع تركي أحد الاتصالات: «مستمع اتصل بي وصوته يتهدج من التأثر، ينكر عليَّ استضافتي لحسن فرحان المالكي، ويحذرني من نهاية كنهاية صالح العزاز!».

كيف كانت ردة فعلك؟ يجيب: «قلت له إني أتمنى أن تكون نهايتي كنهاية ذلك الصديق الجميل، الذي رحل والجميع يحبه وعلمنا محبة من نكره، واستمر يعلمنا حتى بعد موته».

الحلقة الإذاعية الأولى التي استضاف عبرها الدخيل ناشر «إيلاف» عثمان العمير سجلت ردود فعل جمة، سجلها الكثير وتناقلها الجميع مع الجميع عبر البريد الإلكتروني والمنتديات التفاعلية، يتحدث تركي حولها: «بالفعل كانت حلقة مثيرة، أذكر مرة أن مسؤولاً كبيراً قال لي منكراً، كيف تركت عثمان العمير يقول في برنامجك إن العلم لا بد أن يجد للموت حلاً، فقلت له: إن هذا رأيه أولاً، ثم إن البرنامج كان على نهاياته، وقد صدمني عثمان بهذا الرأي غير المتوقع. فقال مستغرباً لي: أنت رجل حاضر البديهة، فهل تريد أن تقول لي إنك بُهت؟!».

يبرر: «تعليق المسؤول يدعوني إلى الحديث عن أمر. فالذين تكون لديهم ملحوظات على برنامج ما، يستمعون إليه عادة، ويسجلونه، وأحياناً يفرغونه على ورق، ثم يتأملون النص المكتوب، وبعد أن يفكروا فيه يتخذوا حياله موقفاً، فيما يحتاج المذيع إلى أن يطرح السؤال على ضيفه ويستمع إلى إجابته، ويفكر في استنباط سؤال منها، وربما يتلقى في الوقت ذاته تعليمات من المخرج أو مهندس الصوت. كل ذلك يتم في لحظة أو لحظات، لا يعيها من يطالبك باتخاذ موقف ما، أو يتمنى أنك سألت سؤالاً ما».

اعتراض موضوعي

يؤمن تركي بدراسة ضيوفه والتحضير جيداً للحلقة، لكنه لا يستغني عن آراء المتلقي: «قبل فترة طلبت آراء المتابعين من المستمعين، في البرنامج، سلبياته وإيجابياته، فهطلت علي رسائل رائعة، وتعليقات إنترنتية جميلة، أجدني مديناً لكل من اقتطع من وقته ليهتم بي وبالبرنامج بشكر لا حصر له».

لا ينسى الدخيل رأي أحدهم: «شكراً أيضاً لذلك الساخر الجميل، الذي كتب تعليقاً أضحكني ووجدتني ملزماً باحترام تعليقه: «يوقف البرنامج أريح لنا». أتمنى في الأيام المقبلة، أن

أقدم ما يقنعك لتغيير هذا الاقتراح ويؤسفني أني لا أستطيع أن أحقق راحتك».

ما سبب اعتراض البعض على برنامجك؟ يرد: «أتفهم أسباب اعتراض البعض على البرنامج أو على ضيوفه، أو على طريقة تقديمه، وهو بشكل أو بآخر، جزء من مخاض فكري مرت وتمر به السعودية على وجه الخصوص، والمنطقة بعامة، بلا شك. والأمل كل الأمل أن يكون أسهم ولو باليسير، بشكل إيجابي في تعزيز النقاش والحوار بين مختلف الأطياف لتجاوز مرحلة مهمة من تاريخ أوطاننا».

خطيب الجمعة

خصص الشيخ سلطان العويد خطيب جامع الإمام فيصل بن تركي في الدمام -شرق السعودية- إحدى خطب الجمعة للهجوم على برنامج «إضاءات» واصفاً إياه بأنه «ظلمات» وأنه ينشر الزبالات بين الناس، كما وصف مقدم البرنامج (تركي الدخيل) بأنه «دخيل» على كل تخصص ولا مانع لديه من اقتحام حمى الشرع ما دامت هناك ردود أفعال قوية، وشبّهه بمن يبول على بئر زمزم طلباً للشهرة، هل سيشكو مقدم برنامج «إضاءات» الشيخ

العويد، يجيب تركي على: «هل قلت شكوى؟! لا أعرف الشكاوى ولا أحبذها، وأرجو ألا أجدني منساقاً في طريقها يوماً. يا صديقي أنا أعرف أن أعمل، وإذا أردت أن تقتلني فامنعني من العمل وإن أغدقت علي الذهب والفضة.

استمعت إلى خطبة الشيخ العويد، وأرى أن من حقه أن يعبر عن نفسه وإن كنت أختلف معه في التقدير».

يضيف: «شخصياً مع أني أعتد بقدراتي أيما اعتداد، إلا أني أعتقد أني أقل من أن أكون موضوعاً لخطبة جمعة. ما ذنب المئات الذين حضروا ليتفقهوا في دينهم، فوجدوني موضوع الخطبة؟! إذا كان الشيخ العويد يعتقد أني رجل سيئ وأن برنامجي سيئ فليتقدم إلى المسؤولين بطلب منعي وبرنامجي، لكني لا أعتقد أن منبر الجمعة كان المكان الأنسب لموضوع كهذا».

كيف سيتعامل مع تعريض الشيخ العويد: «أنا أعلن أني تصدقت على الشيخ العويد بكل تجريح قاله فيَّ، ولا أحمل في نفسي عليه غلاً ولا حقداً والله يشهد، بل إني عندما كنتُ المشرف العام على موقع العربية. نت (www.alarabiya.net) قمت بتكليف أحد الزملاء بتفريغ الخطبة نصاً ونشرتها في خبر وصفت فيه ما

قاله الشيخ، ونشرتها على صدر صفحات الموقع، لأني أؤمن بأن من حقه أن يقول ما يشاء، وأن من واجبي أن أنشر رأيه فيَّ ولو كان سلبياً. هذا أقل ما تعلمناه في مدرسة الحرية الإعلامية».

يكمل: «الطريف أن المئات أرسلوا لي الخبر الذي أجزته بيدي، وهو خبر خطبة العويد عني، على الإيميل على اعتبار أنهم اكتشفوا الموضوع، ولم يفطنوا إلى أني أنا الذي وجَّهت بنشره كما تناقلته المنتديات».

وحول الانتقادات التي نطالعها بين ضلوع النت وأخرى تتلاقفها الشفاه حول برنامجه، يعلق: «هناك من كان يعترض على استضافة أحد من التيار الليبرالي، فيصمني بالعلمنة، أو يعتبر أن حلول ضيف من تيار ما في البرنامج يعتبرني تلقائياً أنتمي إلى ذات التيار، وليس بعيداً أن خطيباً هز أعواد المنبر باعتباري كمن يبول في زمزم بحثاً عن الشهرة! لو علم أنه يساهم في شهرتي بهذه الخطبة، أكان يحقق لي طموحي؟! لا أدري ربما بحث هو عن الشهرة بي؟ من يدري!».

ألا ينتقدك سوى التيار الإسلامي؟ ينطلق قائلاً: «اعتبار أن ردة الفعل السلبية تأتي من التيار الإسلامي أو المحافظ فقط،

هو خطأ أثبته لي البرنامج، فقد انتُقدت لأني استضفت مسؤولاً في هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية من قبل بعض الليبراليين، كما أني انتقدت من بعضهم لأني استضفت بعض الشخصيات الإسلامية مثل الشيخ سلمان العودة، والدكتور محسن العواجي، أو حتى الدكتور عبد الكريم بكار. أما انتقادات الإسلاميين، فهي بادية للعيان ولا حاجة للحديث عنها، ويكفيك أن تتصفح موقعاً أو موقعين في الإنترنت».

الظهور الأول

ماذا دار في رأس تركي قبل تسجيل أول حلقة تلفزيونية؟ يلتقط الإجابة من ذاكرته: «أول حلقة بثت لي في التلفزيون كانت مع الدكتور غازي القصيبي وزير العمل. كنت قلقاً، فكيف سأعد للحوار، بما يجعل الناس يتابعون غازي القصيبي ومذيع يمكن له أن يكون مناسباً لحواره. الجانب الآخر، أن الحوار كان جملة من الاتهامات التي توجَّه لوزير العمل الجديد على سياسته الجديدة، وبالتالي كيف سيغفر الناس لك أن تكون مواجهاً لوزير تقلب في وزارات توشك أن تصل إلى أصابع اليد، ثقة به وبقدرته؟».

عوامل عدة ساهمت في عرق يلمع على جبين الدخيل عشية الحلقة التلفزيونية الأولى، يكشف التفاصيل: «كان التسجيل أيضاً

في جدة وليس في استوديوهاتنا في دبي، حيث أعتقد أن الإمكانات أقل من استوديوهات العربية...» قبل الحلقة أكون تجسيداً لبيت المتنبي: «على قلق كأن الريح تحتي. وما تلبث الحلقة أن تبدأ حتى تغزوني الطمأنينة وتكسوني الثقة بخيلها ورجالها. أعتقد أن بساطتي في الحوار ونسياني أني أمام الكاميرا، يساعد في كوني تلقائياً إلى حد ما، وأحسب أن المشاهدين يرتاحون لذلك. على الأقل أرجو أنهم كذلك».

يروي الساعات التي قضاها قبل العرض: «كنتُ بعد الحوار متربصاً في انتظار التعليقات، وقد هبت الرياح كما أشتهي، تشجيعاً من المتصلين الكرام. كانت هذه هي أجواء الحوار لأول حلقة تلفزيونية تقريباً».

ظهور تركي التلفزيوني جاء متناغماً مع نجاحه الإذاعي، يبصم: «دعني أحدثك عن آخر مرحلة للبرنامج عندما كان إذاعياً وقد بلغ نجاحاً كبيراً انتقل على إثره إلى التلفزيون... في تلك المرحلة انتشيت كما لم يفعل شيخ أصاب جماعاً على كبر وهرم! فقد حقق برنامجي حضوراً طاغياً بعد حلقات استضافة عبد الرحمن الراشد وعائض القرني».

رئيس تحرير سعودي سابق يبوح بأسراره

رحلة البازعي من عرعر إلى باريس(*)

يملك رئيس تحرير جريدة «اليوم» السابق، سلطان البازعي (مواليد 1955) ابتسامة مُعدية، ونظرات تجذبك نحوه. يقول رفيقه في الجامعة، أحمد عابد شيخ: «فكرة تغمرني كلما رأيته، تكمن في خلع نظارته والغطس في عينيه». رأيتُ البازعي لأول مرة في ديسمبر (كانون الأول) 1994، في مكاتب جريدة «اليوم» في الأحساء (شرق السعودية)، كان يرتدي سترة سوداء بجيب خارجي واسع، تقطن في داخله «مسبحة» يخرجها بين الفينة والأخرى. تمنيتُ حينها

(*) نشر في 23 مارس (آذار) 2006.

أن أتبادل الأدوار معها، هي تتكئ على الكرسي الخشبي اليابس الذي أجلس عليه فيما أنكمش وأقفز إلى جيبه سعياً وراء اكتشافه. تحققت أمنيتي بعد 12 عاماً، على وجه التحديد، في الخامس من فبراير (شباط) 2006، على ضفاف بهو فندق «الميرديان» بالخبر (شرقاً) في تمام الساعة الرابعة و 6 دقائق عصراً، تناولنا القهوة وتجربته مديراً لتحرير جريدة «الرياض»، ورئيساً لتحرير «اليوم»، ومشرفاً في الملحقية الثقافية السعودية بباريس، ورئيساً تنفيذياً لدار إعلامية في حوار من (3) حلقات:

رائحة وقدر

ولد سلطان البازعي في عرعر (شمال السعودية) عام 1955، من عائلة تنتمي إلى (العقيلات: أهل القصيم الذين سافروا باتجاه الشمال ابتغاء التجارة). ونشأ البازعي وترعرع ودرس معظم مراحله الدراسية في الرياض التي يعتبرها مدينته التي «التصقت والتصق بها» رغم تردده على غير مدينة بسبب طبيعة عمل والده في تجارة الجمال. سلطان الذي يملك 14 أخاً وأختاً أتيحت له فرصة القراءة مبكراً، بفضل دعم والده وعائلته الكبيرة، ما دفعه إلى التفكير في دراسة الحقوق أو علم النفس، كونهما أقرب تخصصين إلى ذائقته مقارنة بالتخصصات المتوافرة آنذاك

في جامعة الملك سعود بالرياض، لكن مفاجأة سارة خلعت غطاء وجهها واستلقت أمامه دون مقدمات تتمثل في «الأنباء الواردة عن افتتاح قسم للإعلام في الجامعة». بعد أن تأكدت الأنباء، حزم البازعي أحلامه، ويمم وجهه بمعيتها شطر قسم الإعلام الذي شعر أنه الأقرب إلى ميوله وشخصيته استناداً إلى محاولاته القصيرة في الكتابة في صحيفة المدرسة خلال المرحلة الثانوية. تمكن حب الإعلام منه، انتشر في شرايينه، عندما عمل في رسالة الجامعة - نشرة دورية تصدر عن قسم الإعلام بالجامعة - واستنشق رائحة المطابع، يقول: «في ذلك الحين اكتشفتُ أن هذا هو قدري». بدأ أثناء دراسته الجامعية التعاون مع صحيفة «اليوم» التي تصدر من الدمام -شرق- إبان رئاسة محمد العجيان لها - زامله عضواً في مجلس إدارة اليمامة الصحافية لاحقاً - من خلال مكتبها في الرياض الذي كان يديره في ذلك الوقت ساعد العرابي الحارثي: «كنتُ سعيداً بتلك التجربة، خاصة عندما أشاهد اسمي يلمع على خبر في الصفحة الأولى للجريدة».

أمان مفقود

لم تستمر تجربته في «اليوم» طويلاً، يبرر: «لأن العمل كمراسل لا يلبي طموحي، لذلك اتجهت للعمل في مركز رئيس».

حيث غادر إلى جريدة «الرياض»، يقول: «تلقيت عرضاً كريماً من رئيس تحرير جريدة «الرياض» الأستاذ تركي السديري للانضمام للجريدة كمحرر متعاون خلال عامي الأخير في الجامعة». بعد أن تخرج البازعي من الجامعة التحق بوظيفة حكومية: «كان الهدف منها ضمان الأمان الذي اعتقد أن مهنة الصحافة لا توفره حتى اللحظة لمنسوبيها». عُين البازعي في إمارة منطقة الرياض ثم أعير لجريدة «الرياض» ليعمل متفرغاً فيها، يتذكر: «لحسن الحظ أن الوظيفة كانت في إمارة الرياض، كوني حظيت بالدعم الذي يقدمه الأمير سلمان بن عبدالعزيز للصحافيين، حيث كان يتابع شخصياً مدى التزامي بالعمل الصحافي، مما كان له أبلغ الأثر في مسيرتي». كيف أصبح سلطان مديراً لتحرير جريدة بحجم «الرياض» قبل أن يكمل 48 شهراً من تعيينه محرراً؟ هل نفوذ عائلته خلف ذلك؟ يجيب البازعي: «أرجو ألا يكون هذا السبب، ولو أن هذا كرم منك أن تكون عائلتي نافذة، لكن لا اعتقد أن النفوذ مُجدٍ في العمل الصحافي». ويعزو سلطان سبب تعيينه مديراً إلى الثقة التي منحها له السديري، كونه من أوائل الدفعات الحاصلة على درجة البكالوريوس في الإعلام من جامعة الملك سعود بالرياض ويشير إلى انه لم يحظ بهذه الثقة وحده بل تقاسمها مع 3 من زملائه: «صدر في يوم واحد قرار تسمية 4 مدراء لتحرير الجريدة، كنت واحداً منهم، وهم: خيرية السقاف، ناصر القرعاوي،

سليمان العصيمي». استمر البازعي نحو 5 سنوات مديراً لتحرير «الرياض» من عام 1980 حتى 1985 يتذكرها: «كانت فرصة لوضع استراتيجيات وخطط، مارست وزملائي دور رئيس التحرير في أحايين عدة من خلال حجم الصلاحيات الممنوحة لنا عبر الإشراف على الأقسام التحريرية الموزعة علينا». وعن السلبيات يقول: «افتقدتُ العمل الميداني».

الاستقالة الأولى

وحول المركزية التي تشاع عن السديري وانفراده بالقرار يعلق البازعي قائلاً: «مشاعري تجاه الرجل قوية جداً، مشاعر حب تقابلها مشاعر عدم اتفاق في أسلوب إدارته للعمل في بعض الأحيان، وقد أكون أكثر من اختلف معه». يضيف: «خرجت من الجريدة مرتين بسبب خلاف معه لكن هذا لم يمنعنا من المحافظة على علاقتنا الشخصية، كانت استقالتي مهنية على أساس مهني». يرجع سبب الاستقالة الأولى إلى مقالة كتبها عن طبيعة علاقة المؤسسات الصحافية بالعمل الصحافي، يقول البازعي: «كنا متحمسين وشباباً وكان هناك صراع على الامتيازات وكتبتُ مقالة شديدة اللهجة وأبو عبدالله - كنية تركي السديري- رأى أنني أخطأت في كتابتها، واختلفنا حول هذه النقطة وقررت

تقديم استقالتي». وصادفت استقالته هوى في نفسه للحصول على إجازة من العمل الصحافي والالتحاق بوزارة التعليم العالي عبر العمل في الملحقية الثقافية بفرنسا.

بعدما أنهى ارتباطه مع إمارة وجريدة «الرياض»، فاجأه تركي السديري بحفل وداع أقامه في مقر الصحيفة ونشره على مساحة نصف صفحة: «كان حضارياً في طريقة تعامله مع الخلافات».

أوكل للبازعي أثناء عمله في الملحقية الثقافية بباريس إصدار مجلة دورية للطلاب باسم «حوار». وأسهم في الكتابة بها نخبة من طلاب الدراسات العليا السعوديين في أوروبا آنذاك من بينهم: أحمد أبو دهمان، الدكتور معجب الزهراني، الدكتور سعود ذياب. أصدرت «حوار» 8 أعداد قبل أن تتوقف لأسباب مالية، مما عاد سلباً على معنويات البازعي الذي جسد حزنه عليها قائلاً: «تركتُ الملحقية، وصلت إلى مرحلة تشبّع بعد أن تزامن إيقاف المجلة مع ضغوط عائلية عدت على إثرها إلى الرياض».

البازعي: تجربتي مع المارينز أثارت السديري(*)

أمام سلطان البازعي، كنت أبحث عن قطع خبز صغيرة مصنوعة في البيت لأمضغها مع الذكريات التي يذرفها، والسيجارة التي يدخنها وأستنشقها.

ينهبك الجوع في معيته، فهو يمتص طاقتك إثر سلوك أطرافه، فتارة يفرك «مسبحته» بأصابعه وتارة أخرى يمسك سيجارته بخشونة كأنه يعاقبها على جرم اقترفته. يكشف البازعي في الجزء الثاني من الحوار سبب استقالته من «الرياض» للمرة الثانية، ويستدعي تفاصيل تجربته المريرة في جريدة «اليوم» السعودية.

(*) نشر في 24 مارس (آذار) 2006.

استقبال جاف

عاش سلطان 3 سنوات في فرنسا، يصفها: «كانت محاولة لم تنجح كثيراً لتعلم اللغة الفرنسية».

يردف: «من يدرس اللغة في مدينة عالمية كباريس قادر على العيش دون أن يتعلم اللغة الفرنسية، وكانت محاولاتي أقل من طموحي». عاد البازعي إلى جريدة «الرياض» في خريف 1988، مديراً للتحرير، لم يشعر بغربة «كان هناك تواصل إنساني بيني والزملاء طوال إقامتي في باريس ما جعلني أشعر أنني لم أذهب بعيداً». في عام 1991 خاض البازعي تجربة ثرية يرويها: غطيتُ حرب تحرير الكويت لمصلحة الجريدة، حيث قضيت 45 يوماً مع المارينز - البحرية الأميركية- تخللتها الحرب البرية ودخول الكويت، أنجزت من خلالها بعض التقارير الصحافية رغم صعوبة الاتصالات والشروط التي عملت وفقها». فُرضت على سلطان شروطٌ عدة قبل مرافقته للمارينز كإرسال مواده الصحافية إلى المركز الرئيس للمارينز في الظهران الذي قد يبعثها إلى صحف أخرى بالإضافة إلى جريدة «الرياض». يقول البازعي: «عدم موافقة القوات السعودية المسلحة على ذهابي معها دفعني إلى الرضوخ لشروط المارينز بعد حصولي على إذن وموافقة جريدة

الرياض». التحق البازعي بقاعدة التموين التابعة للمارينز خلف الخطوط الأمامية مباشرة وكانت تتاح للقاعدة التقدم أحياناً ما مكنه من قراءة المعارك ووصفها عن كثب في عدد من التقارير التي كتبها. لكن سرعان ما تلاشت سعادته عند عودته إلى الرياض، عندما استقبلته الجريدة والعاصمة الرياض بسوء فهم، حيث وصف رئيس التحرير تقاريره الميدانية بـ «المتشابهة» مع ما بثته وكالات الأنباء وأنه لم يأت بجديد. ورد البازعي حينها على السديري قائلاً: «الحدث واحد، لكن الصياغة والزاوية مختلفتان» لكن الخلاف ظل قائماً على مستوى التغطية ما أفضى إلى استقالة البازعي من «الرياض» للمرة الثانية. يعترف: «ربما بالغت في ردة فعلي لكن كنت مشحوناً».

يؤمن البازعي أنه «محظوظ» لارتباطه بوظيفة حكومية وعمله كمُعارٍ في الجريدة، ما منحه «فرصة للمناورة والدفاع ببسالة» خلاف زملائه.

عاد إلى وظيفته الحكومية في وزارة التعليم العالي، سكرتيراً للعلاقات الثقافية الخارجية «مارست دوراً جيداً ومهماً يتعلق بتنمية العلاقات مع الجامعات الأجنبية وإرسال وفود سعودية لحضور مؤتمرات ومنتديات عالمية واستضافة وفود أجنبية أيضاً».

رغم انصراف البازعي عن العمل في الصحافة في تلك الفترة إلا انه كان منغمساً في همومها من خلال عضويته في مجلس إدارة جريدة «الرياض» لدورتين متتاليتين: «بدعم وترشيح تركي السديري الذي كان وراء دخولي وزملائي كمساهمين في مؤسسة «اليمامة» الصحافية -تصدر عنها جريدة «الرياض» ومجلة «اليمامة» وسابقاً «Riyad Daily» الناطقة باللغة الإنكليزية-».

دخول سلطان وعدد من قيادات جريدة «الرياض» الصحافية في عضوية مؤسسة «اليمامة» ومن ثم مجلس الإدارة ساهم في تطوير جهاز التحرير يوضح البازعي: «زادت قوة التحرير منذ دخولنا لأول مرة كمجموعة صحافيين في عضوية المؤسسة، حصلنا على أصوات الأغلبية في الجمعية العمومية، فالأصوات التي كانت ضد التحرير تراجعت قوتها لأنها فقدت القوة على التأثير».

واستفاد البازعي ورفاقه من نظام المؤسسات الصحافية الذي يمنح العضو صوتاً واحداً بغض النظر عن عدد الأسهم التي يمتلكها ما زاد من فعاليتهم. وتزامن نفوذ الصحافيين المساهمين مع طفرة إعلانية غير مسبوقة شهدتها جريدة «الرياض» «أسعدت الفريق الآخر، ودفعتنا لاستثمار الأرباح الفائقة في تشييد مبنى حديث ومطابع عصرية».

السادسة مساءً

ورغم ارتباط البازعي بالعمل في وزارة التعليم العالي وعضوية مجلس إدارة اليمامة الصحافية إلا انه ظل حاضراً في ذهن رئيس مجلس إدارة ومدير عام دار اليوم للصحافة والطباعة والنشر، الشيخ حمد المبارك الذي عرض عليه رئاسة تحرير جريدة «اليوم» عام 1993، عبر اتصال هاتفي، يتذكره البازعي: «كان مباشراً، دعاني لمقابلته، فأخبرته بأنني سأجيء إلى الدمام في مهمة عمل، ويسعدني لقاؤه حينها».

بالفعل، التقى سلطان رئيس مجلس إدارة دار اليوم في الدمام بعد فترة وجيزة من الاتصال: «آثر أن يزورني في الفندق الذي أقيم فيه رغم مكانته الاجتماعية، كان منفتحاً وشفافاً للغاية، لم يدعني أختلف معه في شيء، فخرجنا متفقين».

كان يعلم أن مهمته ليست سهلة في قيادة «اليوم»، يقول: «كنت مدركاً لوجود حالة تنافر وسيطرة من الإدارة على التحرير، وكان من شروطي الحصول على صلاحيات كاملة، واتفقتُ والمبارك على أن يكون هو مرجعي؛ كونه هو رئيس مجلس الإدارة والمدير العام».

يروي تفاصيل الزيارة الأولى لجريدة «اليوم» بعد موافقته على عرض رئيس مجلس إدارتها: «اتصلت مبكراً على الجريدة، أجابني مدير التحرير، محمد الصويغ بتهذيب بالغ، أخبرته بأنني سأزور الجريدة بعد صلاة المغرب، فأبدى ترحيبه».

وصل البازعي عند حوالي الساعة السادسة مساء لمقر الجريدة الواقع في حي البادية -عمارة مستأجرة من 3 أدوار، تعلوها لافتة سوداء داكنة كتب عليها اسم الجريدة بخط ذهبي- فوجد الصويغ وحده في استقباله وعندما سأل عن بقية العاملين في الجريدة أجابه مدير تحرير «اليوم» وفق البازعي: «انتهى العمل في الطبعة الأولى مبكراً، والطبعة الثانية يأتي زميل ليرى إذا كان هناك ما يستدعي التغيير ثم يذهب».

وضع مزرٍ

تفاقمت انطباعات البازعي السلبية تجاه الجريدة عندما باشر عمله «كنت أعلم أن لدى «اليوم» الكثير من المشاكل، لكن عندما باشرت العمل فوجئت بالوضع المزري في الإمكانات البشرية والفنية والمادية». يستطرد «كانت الأجهزة التي تعمل عليها الجريدة قد دخلت المتاحف، سواء في ذلك أجهزة تصوير الصفحات، أو المونتاج، أو الصف الإلكتروني». بينما يصف وضع

التحرير عندما شاهده عن كثب «ضعيف لا يعطى المحرر حقوقه المالية». أما بيئة العمل فيراها «تعيسة». واستشهد بآلية تصحيح المواد لغوياً «تتم في الإدارة وأصول المواد تحفظ في الإدارة والجهاز الفني بكامله يتبع للإدارة، لم يكن للتحرير سلطة عليه». وصف البازعي زيارته الأولى لـ «اليوم» بـ «الصاعقة» التي جعلته يدخل في «حالة صراع مرير لتغيير هذه الأوضاع». ودخل سلطان في صراع مبكر مع مدير عام الإدارة مساعد الخريصي، حيث اعتبر صيغة مسماه الوظيفي «غريبة»؛ كون الشيخ حمد المبارك هو مدير عام «دار اليوم» حسب ما ينص عليه نظام المؤسسات الصحافية، لكن الخريصي هو من كان يمارس العمل اليومي.

يبوح البازعي «شهادة حق دخلت في خصومة معه لكن من الناحية الإنسانية كان كريماً جداً».

وعن مدى صحة إيقاف الخريصي الإعلانات التجارية في عهد البازعي لإسقاطه أمام مجلس الإدارة؟ يرد: «سمعت هذه القصة بعد خروجي، لا أستطيع تأكيدها أو نفيها، لكن سمعت أنها من أسباب الخلاف بين الشيخ حمد المبارك ومساعد الخريصي؛ لأن الإعلانات تدفقت فجأة على الجريدة بعد استقالتي بثلاثة أيام، ما لم يرق للشيخ المبارك، وبعد فترة قصيرة طُلب من الخريصي الاستقالة».

وعن سبب استقالته شخصياً، يجيب: «الحقيقة كما أعرفها، أنني قررت المغادرة بناء على اتفاق مع الشيخ حمد ومجلس الإدارة؛ حتى لا أصبح عقبة، لأني شعرت أن الصراع ربما يتطور بشكل أكبر ويصل إلى طريق مسدود وشعرت أني أديت مهمة رئيسة، بعد أن أعطيت جهاز التحرير قدره من الاهتمام والكرامة، ودافعت عن حقوقه إلى حد ما وأحدثت انقلاباً إيجابياً في طريقة أداء العمل ووضعت أساس المبنى».

ودافع رئيس تحرير جريدة «اليوم» السابق عن الشكاوى التي تلقاها رئيس مجلس إدارة «اليوم» الراحل، الشيخ حمد المبارك ضد البازعي، بسبب تهميشه لمدراء تحرير فيما وضع ثقته بسكرتير التحرير طارق إبراهيم فقط: «بأمانة منحت فرصة لجميع الزملاء الموجودين، لكن في نهاية الأمر من حصل على الفرصة هو من اجتهد وانسجم مع الرؤية الجديدة والمهم أنني لم أتسبب في إقالة أحد».

لكنه أزاح رئيس القسم الرياضي في الجريدة، مبارك الدوسري، يبرر البازعي: «كان صحافياً متعاوناً وليس رسمياً، وكان بيني وبينه اختلاف شديد على أسلوب صياغة المواد، طلبت منه غير مرة العمل بشكل مختلف، لكن لم تكن لديه رغبة مما حال دون استمرار تعاونه».

البازعي: أنا نادم!(*)

ظللتُ أجوب وجه مدير تحرير جريدة «الرياض» السابق، سلطان البازعي، طويلاً أثناء اللقاء متأملاً وجوهاً غفيرة تدور فيه. تقول الروائية التشيلية إيزابيل الليندي: «الكائنات الخلاقة لا تنفض الناس من حولها إثر غيابها أو استقالتها، بل تتراكم أمامها وتحت جلدها على الدوام». في الجزء الثالث والأخير من الحوار يعترف البازعي بخطئه تجاه زميله ورئيس تحرير جريدة «الوطن» السعودية السابق طارق إبراهيم، ويؤكد أيضاً تقاعده النهائي عن العمل في مؤسسات صحافية وحكومية.

تمازج مثير

يقول سلطان البازعي عن علاقته وثقته بطارق إبراهيم دون غيره أثناء تجربته في جريدة «اليوم» رغم اختلافهما الملموس:

(*) نشر في 25 مارس (آذار) 2006.

«ليس بالضرورة أن اثنين تجمعهما علاقة لابد أن يكونا متطابقين، أحياناً التناقض يجمع ويؤلف، إذا كنت تقصد أننا مختلفان في أسلوب العمل فربما اتفق معك لكن بيني وطارق اتفاقاً كبيراً على المهنية، وهو صحافي جيد في الأساس، لذلك صار بيننا التمازج». وعن انطباعه الأول عن طارق «لم ارتح له شخصياً، لكن أثناء العمل صارت حالة الألفة التي أدت إلى علاقة أعمق وصداقة مستمرة».

واعترف البازعي بأنه ظلم صديقه طارق أثناء عملهما في جريدة «اليوم»: «نادم لأني لم أضع اسمه على الترويسة» رغم ممارسته لدور مهم في الصحيفة آنذاك. ويكشف السبب قائلاً: «ربما ضعفت أمام ضغوطات الآخرين أو هادنتهم أو مارست دبلوماسية معهم، في النهاية اعترف أني ظلمتُ طارق». بخلاف ثقته بطارق التي أثارت انتقادات حوله، فدوام سلطان المسائي كان وراء احتجاج معسكر آخر في جريدة «اليوم» ممن اعتادوا على العمل الصباحي على طريقة الدوائر الحكومية في السعودية يقول البازعي: «المساء فترة إنتاج مستمرة، لكنّ هذا لم يعفني من دوام الصباح».

عام 1997، ترك البازعي «اليوم» خلف ظهره متجهاً إلى وزارة التعليم العالي التي استقر فيها لفترة وجيزة قبل أن ينتقل للحرس

الوطني السعودي، مديراً عاماً للعلاقات العامة والمراسم، يقول: «لم أتخيل نفسي في يوم من الأيام موظفاً في مؤسسة عسكرية، لكن الحرس الوطني جذبني نحوه؛ لأنه يعني القرب من عبد اللّٰه بن عبد العزيز وشخصية أخرى كنت أسعى للعمل بقربها وهي الشيخ عبد العزيز التويجري».

بعد 5 سنوات حافلة غادر الحرس الوطني، لماذا لا يستهويه الاستقرار؟ يجيب على السؤال: «بعد نحو 5 سنوات قضيتها في الحرس الوطني شعرت أني لا أملك شيئاً أقدمه، ولم أكن ميالاً لترك الفرص من أجل الحفاظ على المواقع».

يضيف: «وعندما طلبت التقاعد من نائب رئيس الحرس الوطني، الأمير متعب بن عبدالله، طلب مني الاستمرار، وقلت له بصراحة لم يعد لدي ما أقدمه للحرس الوطني، واقترحت عليه أن يعين في هذا المكان شاباً عسكرياً ولا يعتمد على المدنيين لأن 90% من الإدارة عسكريين، ومن المهم تأهيل كوادر عسكرية قادرة على إدارة العلاقات العامة والجهاز الإعلامي في الحرس الوطني، ووافق الأمير متعب على استقالتي على أن أستمر نحو 6 شهور لمساعدة البديل في معرفة طبيعة العمل». ولم يخف البازعي سعادته بتجربة الحرس الوطني، يختزلها قائلاً: «ثرية وأشبعتني».

معايير مقلوبة

عام 2003 اتجه إلى القطاع الخاص متفرغاً، مبرراً: «لاستثمار تجاربي ومعارفي التي حققتها طوال السنوات السابقة». وكانت البوابة عبر «دار طارق للإعلام والنشر» التي تعود ملكيتها للصحافي طارق إبراهيم ويشارك فيها سلطان البازعي وآخرون، وكان يدير المؤسسة قبل تقاعد البازعي، اللبناني، غسان خطاب، وقد بدأت الدار بأعمال بسيطة كتصميم وإصدار منتجات مطبوعة.

وبعد أن تطور شكلها القانوني وأضيفت إلى نشاطاتها: العلاقات العامة وتسمية البازعي رئيساً تنفيذياً لها أنجزت العديد من المشاريع من بينها حملة الانتخابات البلدية السعودية التي حققت نجاحاً لافتاً عكسه الإقبال على صناديق الاقتراع. كذلك حظيت الحملة باهتمام إعلامي دولي هائل يرجع الفضل فيه إلى «وعي الفريق بأهمية الإعلام الدولي والعمل الكبير الذي قام به الصحافي الدكتور سليمان الهتلان في وضع خطة مناسبة استناداً إلى خبرته وعمله مع مؤسسات إعلامية أجنبية مرموقة».

بدوره يقول رئيس تحرير النسخة العربية لمجلة Forbes، الدكتور سليمان الهتلان: «فخور بتجربتي الزاخرة مع البازعي،

تعلمت خلال عملي معه أخلاقيات المهنة، دخلت تلميذاً في مدرسته وخرجت أخاً وصديقاً». وتقوم «دار طارق» حالياً بتصميم مشروع «التطوير الشامل للمناهج»، يقول البازعي إنه لأول مرة تمنح وزارة التربية والتعليم السعودية عقوداً للتصميم فقط بمنأى عن الطباعة، حيث تم الاعتراف أخيراً بأهمية التصميم الفني ككائن مستقل.

وتقود «دار طارق» حملة هيئة سوق المال السعودية لتوعية صغار المستثمرين عبر برامج مبتكرة من بينها إعلانات ودورات تهدف إلى تدريب 45 صحافياً اقتصادياً بالتعاون مع هيئة الصحافيين السعوديين على عدة مراحل، يقول الرئيس التنفيذي لـ «دار طارق» إن الاتصالات التي قاموا بها مع «صندوق رويترز» -مؤسسة غير ربحية أنشأتها وكالة رويترز- أثمرت إرسال صحافيين اقتصاديين متخصصين لتدريب الصحافيين السعوديين، وتم الاتفاق على 3 دورات تقام في كل من: الرياض وجدة والدمام، مصممة كل واحدة منها لاستيعاب 15 صحافياً.

وأشار البازعي إلى أن الدورات التي أقيمت مؤخراً كشفت للصحافيين أنفسهم مدى ضعفهم في بناء القصة الخبرية والتعامل مع المصادر والتعامل مع البيانات الصحافية وقراءة

النتائج المالية للشركات. وعن مدى نجاح التجربة، يقول البازعي إن «النجاح يقاس بردود فعل المتدربين»، وأكد أن الصحافيين السعوديين الذين التحقوا بالبرنامج التدريبي المكثف فوجِئوا من كون الطريقة التي كانوا يتبعونها قبل الحصول على الدورة لا تنسجم والمعايير المهنية بعد اطلاعهم على أساليب الصياغة والقواعد العامة واستعراض أسلوب «رويترز» كنموذج.

العثور على ابتسامة

ورغم تعاون «دار طارق» مع هيئة الصحافيين السعوديين إلا أن للبازعي اعتراضاً على أسلوب تشكيلها، مرجعاً الخلاف الأساسي إلى كون مجلس الإدارة يتكون من رؤساء تحرير صحف سعودية، حيث يعتقد البازعي أنهم لا يملكون الوقت الكافي لتقديمه لـ «هيئة ناشئة» تحتاج للكثير من الاهتمام والتركيز، فضلاً عن أنه من المفترض أن يلعب عضو مجلس الإدارة دور الوسيط بين الصحافي ومؤسسته، يكمن الخلل حسب البازعي «في كون من يدير الهيئة هو الخصم والحكم في نفس الوقت».

وأضاف البازعي: «هذا كان رأيي وموقفي، لذلك لم يعتبرني الزملاء في الهيئة صحافياً محترفاً بل مجرد عضو منتسب».

ويحلم سلطان بتأسيس جمعية سعودية للعلاقات العامة «تهدف إلى تطوير صناعة العلاقات العامة؛ لتتماشى مع حاجة القطاعات الحكومية والخاصة الشديدة»، مستنداً إلى تجربته في عضوية الجمعية الدولية للعلاقات العامة وفرعها في الخليج «ايبرا» التي انتخب مؤخراً عضواً في مجلس إدارتها الجديد.

واستبعد البازعي قبول رئاسة تحرير أي مطبوعة أو تولي أي منصب حكومي مستقبلاً، يبوح: «لن يثيرني أي عرض».

كيف نعثر على ابتسامته؟ إجابة تركها البازعي تقفز من ملامحه عندما لوَّح بأسماء أسرته الصغيرة المكونة من زوجته وأبنائه: نورة (متزوجة) بدر (يدرس في المرحلة الجامعية تخصص إدارة فنادق وسياحة)، فلوة (تدرس محاسبة)، الجازي (في المرحلة الثانوية)، مروان (في المرحلة المتوسطة).

حوار مع الإعلامي السعودي والباحث في جامعة Harvard د. سليمان الهتلان

راعي الغنم الذي أصبح كاتباً في New York Times(*)

لم يكن يعلم ذلك الفتى الصغير الذي يشق الصحراء ذهاباً وإياباً، ويكتب بأصابعه على الرمال التي تتحرك ببطء تحته، أنه سيكتب بذات الأنامل في صحيفة New York Times، وسيحمل ذاك الجسد الذي يتهادى خلف الأغنام التي يرعاها إلى جامعة هارفارد العريقة التي أصبح أحد باحثيها. «اختطف السعوديون طائراتنا وها هم يختطفون صحافتنا». استقبله أميركيون بعبارات مناوئة عندما انتشر اسمه في صحفهم. ما زال يتذكر

(*) نشر في 2 أغسطس (آب) 2004.

الدكتور سليمان الهتلان أكتاف القرية التي كان يصعدها ليلاً في جنوب السعودية ليرتل قصائده على مسامع حبيبته التي لم يرها حتى اللحظة. صور جده (جبران) تجول بحبور في ذاكرته هي و(الرشاش) الذي كان يحمله في الأعراس و(الجنبية) التي يحزمها بإخلاص على جسده. الباحث في قسم دراسات الشرق الأوسط بأحد أبرز المراكز التعليمية في أميركا تحدث عن صناديق مغلقة لا تدخلها الشمس ووادٍ أبيض لا ينطفئ.

رقصة الوادي

«جانا الحيا جانا... ورش معزانا». هكذا كان يغني سليمان مع الأطفال عند استقبال المطر، طفولته حافلة، مأهولة بالكائنات الكثيرة، يستحضر الدكتور سليمان الماضي ويغني: «ولدت ونشأت في قرية قديمة جداً، ولد فيها جدي وأجداد جدي، قرية صغيرة في حجمها لكنها كبيرة بحكايات الناس الأولين وكفاحهم وعشقهم للحياة. طيبة الأولين في قريتي هزمت فقرهم وأكدت صمودهم».

بعينين واسعتين وصدر مملوء بالحكايات والصور يتكلم عن مدرسته الأولى وجده الطويل: «(الوادي الأبيض) هي مدرستي الأولى، وكان جدي جبران بن هتلان رجلاً طويل القامة له هيبته،

أول من علمني حب الأرض ومحبة الناس. كان عملياً في رؤيته للدنيا وكان يحثنا دائماً على العمل. في القرية، يولد الأطفال كباراً يرعون الغنم ويعملون في المزارع بمجرد القدرة على الحركة».

قطرات العرق التي تسكن جبينه لم تجف بعد، هي والأشجار التي تتكاثر في أخيلته: «عملت - مثل أقراني في القرية - في المزرعة ورعيت الغنم ومشيت طويلاً حافي القدمين، ولبست (الجنبية) ورقصت الخطوة وحملت (الرشاش) في مناسبات الفرح في القرية، وكنت مع الشباب الذين يتقدمون الصفوف في الأعراس لإطلاق الأعيرة النارية في السماء أمام الناس».

جنوب السعودية شأنها شأن سائر المناطق التي ترقد باطمئنان على الجزيرة العربية، تسهر مع القصائد المفخخة بالرغبات البريئة والعيون الكبيرة، يقول الهتلان: «في (الوادي الأبيض) حاولت أن أكتب أولى قصائدي في احتفالية خجولة بقصة حب بريئة، ومشيت حافياً إلى قرية قصية، كي أنشد قصيدتي للحبيبة التي تمنيت أن أعشقها ولما أنهيت قصيدتي عرفت أنني كنت أنشد في الوجهة الخطأ. كنت أردد قصيدتي في الظلام». يتابع: «لم أر وجه من تمنيت أن أعشق. لم يكن أجدادي يخفون قصائدهم أو يلقونها في الظلام. أدركت بعد تلك المحاولة

بسنوات أن سنين من الظلام القاتل قد سيطرت على القرية. لم يعد الظلام يمنح فرصة لأية قصيدة. ماتت القصائد قبل أن تُولد كحالة إعلان صاخبة عن نهاية القرية».

صحافة وكهرباء

سليمان الذي سافر إلى أميركا وغادرنا، يجري اسمه في شرايين صحافيين سعوديين شبان، يرون في حسه وحماسته مستقبلهم المخفور بأمنيات جمة، تتناسل بتسارع حينما يلوح اسمه وقافلة قصيرة من الأسماء الصحافية الناصعة. كيف بدأت علاقته مع الصحافة؟ سؤال يتوسد الأحلام اليافعة المترامية الأطراف، يجيب الصحافي السابق في جريدة «الرياض»: «في أوائل الثمانينات، وصلت جريدة «الجزيرة» إلى «سراة عبيدة»، حيث كانت مدرستي الثانوية. كان السيد صلاح - رجل سوداني طيب ومتواضع - يمضي يومه كاملاً يقود سيارته من مكتب «الجزيرة» في أبها إلى «سراة عبيدة» وظهران الجنوب» ليوزع «الجزيرة» في بعض البقالات ومحطات البنزين. كانت تلك الأيام هي أول أيام اتصالنا بالإعلام المقروء. أنتظر بشغف قدوم «الجزيرة» وقد كانت، وقتها، أهم قناة عندي للاكتشاف».

ليس الهتلان وحده الذي كان يقتني ويهتم بصحيفة «الجزيرة» آنذاك، كان يتسابق عليها الجميع مع الجميع، يتابعونها بعناية فائقة، خالد المالك عثمان العمير، عبد الرحمن الراشد، محمد التونسي وآخرون حققوا لتلك المطبوعة تاريخاً زاخراً، ما زال الجيل الجديد يتصفحه بشهية بالغة ويمني النفس بالحصول على أعداد «الجزيرة» في تلك الفترة التي لم تدم طويلاً.

يواصل سليمان الحديث عن «الجزيرة» بدقة: «أعجبت بصفحة يكتب فيها الناس مطالب مدنهم وقراهم، فكتبت رسالة أطالب فيها لمنطقتي بكهرباء ودفاع مدني وهاتف ومستشفى. نشرت رسالتي في «الجزيرة» فأسست عشقاً ووهجاً خاصاً للكتابة والصحافة. كنت أشتري الجريدة عند عودتي من المدرسة وما أن أعود إلى القرية حتى أحمل كتبي وجريدتي وأمشي خلف غنمي إلى الجبال المحيطة، ثم أبدأ في أمتع رحلة يومية وهي قراءة الجريدة صفحة صفحة، وزاوية زاوية ثم أبدأ في الكتابة». يناديه الكثير يعبر اسمه بجوار المساجد الصغيرة والوجوه الأليفة، يستقر في فؤاده: «كان كثيرون من أبناء القرى والبادية في محيطي يبحثون عني، كي أكتب معاريضهم أو أنشر مطالبهم. وقد كانت تلك هي النواة الأولى لإدراك مسؤولية الكتابة».

الكتابة عن بعد

ارتبط الدكتور سليمان بعلاقة طويلة مع جريدة «الرياض» التي نقشت اسمه على جدران الذاكرة، اختفى فجأة عن صفحاتها، لماذا تآكلت الجسور التي ربطتهما؟ يجيب الهتلان قائلاً: «حاولت ألا يحدث الانفصال لكنه حدث. أدركت بعدها أنني كنت أدفن نفسي في نفق يدفنك ولا يمكنه أن يقودك إلى نقطة ضوء. أعتز بتجربة العمل الأولى مع «الرياض» يوم كنت أقضي يومي كاملاً في الجريدة: أكتب وأجري مقابلات وأحرر بعض الصفحات».

وجوه مضيئة، تفترس الظلام وتستفحل بياضاً في ذاكرة سليمان الصحافية، يفسرها: «سوف تظل أعداد «الرياض» ما بين 1988 و 1991 شاهداً على حجم الجهد والكفاح الذي بذلته في صحيفة «الرياض» التي عشقتها كما لو كانت الجريدة الوحيدة التي تصدر في الشرق كله. أعتز بتجربة العمل مع نخبة صحفية في «الرياض» ممن تعلمت منهم الكثير من أمثال محمد أبا حسين وسلطان البازعي وقائمة طويلة من الزملاء النبلاء من أمثال هاني وفا وسليمان الناصر ومحمد السليمان وسالم الغامدي وآخرين. في عام 1991، كان علي أن أرحل».

لماذا؟ بمحاذاتها تماماً علامة استفهام فارعة تستند على أقدام كثيرة يواجهها: «كنت أبحث عن فرصة لدراسة اللغة في أميركا. كانت الجريدة تبعث بعض محرريها لدراسة اللغة الإنجليزية لسنة أو سنتين، وكنت قد وُعدت بأن تتاح لي فرصة الدراسة في أميركا لسنة واحدة على الأقل. لم يحن دوري أبداً ولما يئست، قررت الرحيل ورحلت. بعدها بسنوات عادت العلاقة مع «الرياض» من واشنطن وليتها لم تعد. كانت تجربة بائسة كأنها تدفعك أن «تشحذ»، كي تنشر مقالاً أو تجري حواراً».

يضيف: «كان نشر مقال واحد في «الرياض» يكلف عشرات الاتصالات والرسائل إلى رئيس التحرير. حرمني وفائي والتزامي الأدبي وعشقي «للرياض» من أكثر من فرصة صحفية جادة في واشنطن بدأت بعرض لإدارة مكتب «الشرق الأوسط» في واشنطن واتصالات مع محطة «الجزيرة» لإعداد برامج وثائقية ومقابلات تلفزيونية من أميركا. رفضت قبول أي عرض آخر وفاءً لعلاقتي المتذبذبة –للأسف– مع «الرياض». حين عدت إلى بلادي، قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) 2001، وكنت وقتها ما زلت أفكر جدياً في العودة إلى أميركا، حاولت توثيق العلاقة من جديد مع «الرياض»، ولم أفلح».

ألا تحن إليها؟ يجيب الكاتب الصحافي: «بصدق، لا. لقد تعلمت من تجارب سابقة أنه إذا حان موعد الرحيل فما علي سوى الانطلاق نحو الوجهة الجديدة دون أن أشغل نفسي بالنظر إلى الخلف».

حكاية الاختطاف

تفتقر الصحف الأميركية إلى كتّاب سعوديين يبررون ويدافعون عن وطنهم بعد سبتمبر الأسود، هل كان ذلك مبرراً وجيهاً لصحف كـ New York Times و Washington Post وغيرهما لاستقطاب الهتلان كاتباً؟ يرد الدكتور سليمان: «لم تسعَ الـ New York Times ولا الـ Washington Post لاستقطابي بل سعيت بنفسي إليهما. كنت منذ أيامي الأولى في أميركا أدرك حجم الدور الذي تلعبه الصحافة في صناعة الرأي العام الأميركي وفي التأثير على القرار السياسي أيضاً. جاءت أحداث سبتمبر وذكرتني نظرات الناس و دعواتهم لي للحديث عن بلادي وثقافة مجتمعي بمسؤوليتي. كان لا بد من الفعل. كتبت مقالي الأول في الـ USA Today واسعة الانتشار».

ماذا كتب في مقالته الأولى؟ «كنت أحكي تجربة خاصة هي عودتي إلى مقر إقامتي في بوسطن وإلى دراستي في جامعة Harvard بعد كارثة سبتمبر. فوجئت بردود فعل واسعة على

مقالي. جاءتني عشرات الرسائل من قراء في أميركا وخارجها ما بين مرحب بمقالي ومحتج عليه. كنت أحكي تجربة شخصية حقيقية». كيف تعاطت معها الجريدة؟ وما ردة فعل المتلقي؟ أجاب الهتلان: «أعطيت مساحة كبيرة في صفحة الرأي وهذا ما أغضب البعض هناك ممن كتب: «اختطف السعوديون طائراتنا وهاهم يختطفون صحافتنا». واصلت بعدها الكتابة في الـ USA Today ثم في الـ Washington Post والـ New York Times و Baltimore Sun و Miami Herald، ونشرت حواراً قصيراً –ضمن مقالي– مع سمو ولي العهد السعودي في صحيفة San Francisco Chronicle تزامناً مع لقاء سموه بالرئيس الأمريكي في تكساس قبل سنتين وما زلت أكتب من وقت لآخر للصحافة الأمريكية».

سعوديون ينصرفون عن الكتابة في الصحف الأميركية، ما السبب رغم مقدرتهم الكتابية؟ يعلق الكاتب الصحافي والباحث السعودي «لكنني لا ألوم السعوديين القادرين على الكتابة باللغة الإنجليزية ولا يكتبون، لأن الكتابة في الصحافة الأمريكية مغامرة خطيرة في ظل هوس بعض أجهزة الرقابة البليدة عندنا بمتابعة كل ما يكتبه أو يقوله السعوديون في الخارج». يستشهد بموقف شخصي: «في عام 1995 بعث لي الدكتور حمد السلوم، وكان وقتها الملحق الثقافي في واشنطن، برسالة رسمية يهددني فيها بقطع

بعثتي وإعادتي إلى بلادي إن لم أتوقف عن الكتابة في صحيفة الـ Parthenon بغرب فرجينيا التي أتاحت لي فرصة التدريب والعمل، وكنت وقتها أدرس الماجستير في كلية الصحافة بجامعة Marshall، والتدريب الصحافي كان من أساسيات دراسة الصحافة المطبوعة».

يمتدح الهتلان تعاطي القيادة السعودية مع كتاباته، ويحكي أيضاً عن الأصدقاء بعد توغله في الصحف الأميركية: «بعد أن بدأت أكتب عن الشأن السعودي وقضايا عربية أخرى في صحف أمريكية كبرى مثل Washigton Post، نُشرت مقالات لبعض كتابنا - وبعضهم للأسف كان من الزملاء السابقين - تشكك فيَّ وتحذر من مقاصدي وتكاد تطعن في وطنيتي وانتمائي. في المقابل، كان التفاعل مع كتاباتي والاحتفاء بحضوري داخل أمريكا نفسها وكذلك تفاعل الأصدقاء في المملكة مع كتاباتي حافزاً للاستمرار». يتابع: «كان ترحيب عدد كبير من رموز القيادة السعودية بكثير من الأفكار التي أكتبها داخل بلادي وخارجها من أهم أسباب إصراري على الكتابة الناقدة والتي تحث على «نقد الذات» في الداخل وفي الخارج، لأن الكتابة الناقدة -في نهاية المطاف- تظل حاجة ملحة لمجتمعنا في ظل هيمنة مدرسة فكرية أحادية تحرض على العنف وعلى كره الآخر وتجاهل حقيقة التعدد المذهبي والتعدد الفكري في مجتمعنا».

د. سليمان الهتلان

أنتقم بالكتابة لفقر أجدادي وعزلة كثير من أبناء قريتي(*)

في الجزء الثاني يفشي الدكتور سليمان الهتلان سبب ابتعاده عن الرياض وعلاقته بأحمد أبو دهمان. يتحدث عن علاقته بالكاتبة الألمانية ستيفاني فريدهوف. ويتكلم عن أفضل وسيلة للانتقام من الفقر الذي عزل الكثير من أبناء قريته.

حصار

تنزلق هموم الدكتور الهتلان من مقالته التي يكتبها دورياً في جريدة «الوطن» التي تصدر من جنوب السعودية، لماذا لا يعود

(*) نشر في 4 أغسطس (آب) 2004.

للسعودية؟ فهو يكتب بأسى عن غياب الرعاية الأكاديمية للبحوث التي تتعلق بالأقاليم. ألم يحن الوقت ليعمل والصالحون في سبيل إنماء البحوث وتفعيلها داخل الوطن؟ يجيب: «منذ سنة أو أكثر وأنا أتواجد لفترات طويلة في المملكة. ولعل الوقت الذي أقضيه في بلادي حالياً أطول من الوقت الذي أقضيه في أمريكا. لكن مشكلة العمل الأكاديمي في المملكة هي غياب الرعاية الحقيقية للباحثين والبحوث العلمية». يتساءل الباحث السعودي في جامعة هارفارد: «بالله عليك كيف ترجو من باحث أفنى أعز سنوات العمر في الدراسة والبحث أن يتفرغ لبحوثه عند عودته وهو محاصر بهموم الواقع من بحث عن أرض ثم همّ بناء المنزل وتدريس الأطفال ومواعيد الزوجة والأبناء في المستشفى وعزائم العشاء والغداء عند الأقارب وأبناء الجماعة؟».

يواصل النزيف: «بالله عليك كيف يمكن أن يجرؤ الباحث على دراسة أي قضية بتجرد وموضوعية والخوف من الرقابة -بكل أنواعها- يحاصره من كل الاتجاهات؟ هل تصدق أن مشاركة الأكاديمي السعودي -ممن يعمل في أية جامعة سعودية- في أي مؤتمر علمي خارج بلاده تتطلب معاملة طويلة في مسيرة بيروقراطية معقدة قد يحين موعد المؤتمر قبل الحصول على الموافقة للمشاركة؟».

تعاني الجامعات السعودية من قيود يعبّر عنها سليمان قائلاً: «لم تتحرر جامعاتنا بعد من العقد البيروقراطية –وعقد أخرى أشد وطأة– في عملية تعيين أعضاء هيئة التدريس وترقياتهم ودعم محاولات بعضهم الجادة لإعادة الحياة إلى الجامعات السعودية».

ما الأزمة وما الحلول؟ «هناك أزمة فكر حقيقية في مجتمعنا، وجزء من الحل هو في إعطاء الجامعات حرية أكاديمية كاملة واستقلالية حقيقية مع حماية جادة من ابتزاز من يمارس وصاية فكرية على المجتمع وعلى العلماء الحقيقيين في جامعاتنا أو يستخدم الدين الحنيف أو علاقات «النسب والحسب» كعصا غليظة يضرب بها أية محاولة جديدة للإبداع أو التفكير الحر».

تخصص وتكنولوجيا

جدل كثير يتخلل أنسجة المنظومة الإعلامية السعودية يتعلق بمدى فعالية أقسام الإعلام في الجامعات السعودية ومدى تغذيتها للمؤسسات ذات العلاقة. للهتلان وجهة نظرة مغسولة بقراءته لواقع الصحافة الأميركية: «ليس شرطاً أن تكون خريج قسم إعلام أو صحافة كي تكون صحفياً جيداً. أعداد كبيرة من

الأسماء المميزة في الصحافة الأمريكية درست في تخصصات مثل التاريخ والعلوم السياسية وأقسام أخرى».

ماذا ينقص أقسام الإعلام في الجامعات السعودية حتى تكون فعالة ومؤثّرة؟: «الملاحظ أن أقسام الإعلام بالجامعات السعودية تفتقد لآلية عملية للتدريب الصحفي، ولعل هذه واحدة من المشكلات الحقيقية التي يعانيها طلاب أقسام الإعلام في جامعاتنا. في ظني أن عشق العمل الصحفي والرغبة الجادة في التفرغ له يأتيان في مقدمة عوامل النجاح».

صمت حالك ترتكبه المؤسسات الصحافية تجاه شبان يتدثّرون بطموحاتهم الطويلة، يقول الأكاديمي والكاتب الصحافي الهتلان: «المهم الآن هو أن تُنشئ المؤسسات الصحفية مراكز متخصصة في التدريب الصحفي إضافة إلى تخصيص ميزانيات للابتعاث للتدريب على الجديد في تكنولوجيا الإعلام والاطلاع على أساليب أخرى في ممارسة العمل الصحفي في المجتمعات التي تمارس صحافتها دورها الحقيقي كسلطة رابعة لا تجامل ولا تنافق، وتسقط قيمتها بمجرد فقدانها للمصداقية وللاستقلالية».

خبز وجبل

كما تتلاحم الورود وتلقي تحية للكتاب العملاق الذي يقف بصمود في ميدان جامعة الملك سعود بالرياض، تتعارف الوجوه السعيدة التي تقبع في ذاكرة الهتلان. الجامعة التي تأسست في خريف 1957م لم تبرح تزف أسماء مهمة لميدان العمل في السعودية، يتحدث سليمان عنها ولائحة منعشة أضفت على مشواره الكثير: «هناك قائمة طويلة ممن أدين لهم بأفضال كثيرة في مسيرتي الأكاديمية وتجربتي الصحفية. في جامعة الملك سعود، كان الدكتور ساعد الحارثي مشرفاً على صحيفة «رسالة الجامعة» وكان يتعامل مع أسرة تحرير الرسالة -وكنت واحداً منهم- بعقلية مختلفة. كان يحفزنا للتفرد ويحمينا من بطش بعض من يغضب من كتاباتنا ونقدنا في أولى خطواتنا الصحفية. لقد أتاح لنا هذا الرجل تجربة فريدة، ونحن نخطو أولى خطواتنا في طريق مليء بالشوك والمسامير، لكي نكتب بجرأة ولغة مختلفتين».

الرياض

جريدة «الرياض» تلك الشاسعة وتأثيرها في السعودية، لا ينساها الهتلان ورجالها: «في جريدة «الرياض» تلقيت دعماً

أصيلاً من تركي السديري ومحمد أبا حسين وسلطان البازعي ومن الصديق العزيز محمد رضا نصر الله ومن دائرة الأصدقاء، كان الأخ العزيز جداً محمد علوان صاحب فضل كبير في ابتعاثي للدراسة وقبل أن أعرفه عن قرب كان حافزاً للكتابة والنبش في تفاصيل حياة القرية وذاكرتها من خلال مجموعته الشهيرة «الخبز والصمت».

كاتب رواية «الحزام» أحمد أبو دهمان لا يفر أيضاً من ذاكرة كاتب «الرياض» السابق، يتذكر مقولته ووقفة شقيقه: «ما زلت مديناً لأخي الكبير أبي غسان بالكثير من جميل المواقف. وأدين لصحيفة «الرياض» بمعرفتي –من خلالها– بالصديق الحميم أحمد أبو دهمان الذي كتب لي يوماً: «أصمد مثل جبل». وما زال أبو نبيلة رجلاً أصيلاً يعيدني إلى ذاكرتي الحقيقية في جبال السراة كلما اشتدت كربتي».

قبائل ومكتبات متحركة

أميركا الكبيرة، ألم تحقن أيقونات في أعماق الهتلان؟ يقول: «في أميركا، تعرفت على الصديق د. محمد العضاضي، مكتبة متحركة من العلم والمعرفة والحياة، ومنه عرفت الكاتب

القدير فواز تركي الذي عرفت من تجربته كيف أنه ما زال عند العرب -للأسف- قبائل تأكل جيادها. وفي واشنطن، تعرفت على الصديق الحميم محمد إبراهيم حسن الذي عرفتني صداقته على كثير من أوجه الجمال الحقيقي والطيبة الأصيلة لأهلنا في السودان الكبير».

قصة لمهاجر عربي، تملأ أرشيفه وتضيء صدره، جلست الرواية التي نشرها سليمان القرفصاء في الصفحة الأخيرة لجريدة أميركية تلك التي تتمتع بمذاق (مذهل) مقارنة ببقية الصفحات، هاتوا ألسنتكم لنتذوقها: «مدين لصحيفة الـ Parthenon في غرب فرجينيا التي أعطتني فرصة التجربة والتدريب ومحاولات النشر الأولى حين نشرت فيها أعمالاً صحفية كثيرة، ولا أنسى قصة صحفية كتبتها عن مهاجر فلسطيني أقام في غرب فرجينيا وعاش حياة مثيرة ومليئة بالنجاحات على صعيد التجارة ونشرتها الصحيفة في صفحتها الأخيرة، وتلك تجربة عززت عشقي للنشر في الصحافة الأمريكية».

لائحة طويلة لا تنتهي من الأسماء الأميركية تغوص في ذاكرته، يقول عنها: «أنا مدين كثيراً لقائمة طويلة من أساتذتي وزملاء الدراسة في أكثر من جامعة أمريكية درست فيها مثل

Marshall و Howard و George Town. كانت أستاذتي القديرة البروفيسورة ديان أوين، أستاذة الإعلام السياسي بجامعة George Town، خير عون لي في دراساتي العليا وما زالت تشجعني على البحث العلمي وعلى الإسهام الأكاديمي».

ولا ينسى دور إحدى أستاذاته: «للكاتبة الأمريكية –جذورها من جنوب أفريقيا- السيدة روز موريس دور كبير في تشجيعي على الكتابة باللغة الإنجليزية منذ أن كنت طالباً عندها في جامعة Harvaed، وبدأت تقرأ للطلاب في المادة التي تدرسها «الكتابة الإبداعية» بعض محاولاتي الكتابية. سألتني يوماً: ما هي الكتابة؟ أجبت: هي إعادة الكتابة. قالت: الكتابة هي إعادة الكتابة إعادة الكتابة إعادة الكتابة ورددتها خمس مرات، وما زلت أعمل بنصيحتها إلى اليوم».

ما النصيحة التي تسكنه حتى اللحظة؟ يرد سليمان قائلاً: «هي للكاتبة الألمانية ستيفاني فريدهوف التي زاملتها أيضاً في Harvaed فهي التي علمتني -بإلحاحها الشديد على أن أكتب- أن الكتابة أفضل وسيلة للانتقام من الظروف القاسية والظلم والكآبة التي حاصرتني كثيراً في اغترابي. لقد أخذت بنصيحتها وها أنا ذا أنتقم بالكتابة لفقر أجدادي وعزلة كثير من أبناء قريتي واستعلاء بعض أهل السلطة والمال في بلادي».

د. سليمان الهتلان

كم في مجتمعي من امرأة موؤودة!(*)

أصر كبير منتجي برنامج «20/20» الشهير، ألن قولدبرج، على تقديم الهتلان لنخبة الإنتاج التلفزيوني في نيويورك. ورُشح أيضاً للعمل مع مايك وولس في برنامج «ستون دقيقة» الشهير بمحطة CBS. ثم عمل مع الإعلامي البارز مارتن سميث من الـ BBS. وشارك في إنتاج برامج وثائقية وقدم استشارات متخصصة لمؤسسات إعلامية في نيويورك وأستراليا. كيف حدث ذلك؟ إجابته على هذا السؤال وغيره في ما يتعلق بنشاطه التلفزيوني في أمريكا هي محور الجزء الثالث:

(*) نشر في 6 أغسطس (آب) 2004.

رحلة التلفزيون الأميركي

سليمان الهتلان ساهم في إعداد وإنتاج حلقات تلفزيونية مهمة عن السعودية من خلال تعاونه مع قنوات أميركية شهيرة كالـ CBS وغيرها، سؤال يتدحرج كثيراً أمام المهتمين، ماذا ينقص الإعلام العربي؟ يجيب عليه: «هذا سؤال مهم، لأن القنوات الفضائية العربية تشكل اليوم أهم مصدر للترفيه وللأخبار، وأحياناً للتثقيف في الوطن العربي. وهذا يحفز على الإلحاح بأن الكتابة للتلفزيون وإعداد البرامج يتطلبان جهداً خاصاً ووعياً جديداً، كون كثير من برامج التلفزيون العربي أصبحت تلعب دوراً في تشكيل ثقافة المجتمعات العربية. ولعل المثقف العربي يسهم بفاعلية في إنتاج وتقديم بعض البرامج التلفزيونية للفضائيات العربية».

كنا نتسلق جدار الصمت أفواجاً وجماعات في أميركا، نتحلَّق بإخلاص مع بداية إذاعة مقابلة تلفزيونية للمذيعة الأميركية باربرا ويلترز مع خادم الحرمين (سمو ولي العهد السعودي وقتئذ) الملك عبد الله، لكن سرعان ما جفّ الصمت فور انخراط اللقاء، حيث انطلقت الأسئلة من حنجرتها كشلال مؤمن. أسئلتها توحي بأنها من سكان ضواحي جدة أو ما جاورها. أعجبنا بفريق البرنامج لأنه أنتج حواراً أضاء أمسيتنا، بعد أيام من اللقاء طالعتنا الصحف

بلائحة القائمين على البرنامج، برز من بينها اسم الدكتور سليمان، يروي بنفسه تجربته التلفزيونية: «في زيارة قصيرة إلى السعودية بعد أشهر من أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول)، جاءني اتصال من نيويورك. كانت إحدى منتجات برنامج «20/20» على الخط تخبرني أن انسيدة باربرا وولترز وفريقها قد رشحوني للمشاركة في إنتاج برنامج خاص عن المملكة مدته ساعة كاملة. عملت مع السيدة باربرا وولترز وفريقها كمستشار ومنتج ومتحدث باسم الفريق. كانت تجربة مثيرة اختصرت عليَّ طريقاً طويلاً، وقدمتني لأهم الأسماء اللامعة في التلفزيون الأمريكي، وحصلت على جائزتين كبيرتين على أول عمل تلفزيوني جاد أشارك فيه».

ماذا حدث بعد البرنامج؟ «بعد بثه بأشهر كنت في مناسبة إعلامية في نيويورك لتسلم جائزة قريسي ألن للأعمال التلفزيونية. لم أقابل منتجاً تلفزيونياً إلا وعرض علي العمل. كان الصديق ألن قولدبرج كبير منتجي برنامج «20/20» يصر على تقديمي لنخبة الإنتاج التلفزيوني في نيويورك، ويتحدث عني في كل مناسبة. رُشّحت بعدها للعمل مع مايك وولس من برنامج «ستون دقيقة» الشهير في محطة CBS، ثم عملت مع الصديق الإعلامي الشهير مارتن سميث من الـ BBS وما زلت أشارك في إنتاج برامج وثائقية وأقدّم استشارات متخصصة لمؤسسات إعلامية في نيويورك وأستراليا».

حرف سمين

دكترة رئاسة التحرير، انتشار الكتّاب الذين يحملون شهادة الدكتوراه ألا تعتقد أنه يبطل حماسة الموهوبين الذين يملكون تقنية الكتابة لكن لا يملكون ذلك الحرف (السمين)؟ يشير الأكاديمي الهتلان: «للأسف في العالم العربي ما زال تقديس الألقاب (مثل دكتور ومهندس وناقد ومفكر) واحداً من مظاهر تخلّف النخب في المجتمعات العربية. الهالة التي أعطيت لدرجة الدكتوراه جاءت -في ظني- كنتيجة لسببين، أولاً: حماس مجتمعنا في فترة مضت للتعليم قاد إلى حماس وانبهار بالدرجات العليا وقت ندرتها». ويضيف: «السبب الثاني يعود إلى الجهل بما يعنيه الحصول على الدكتوراه، والتي تعني في الواقع التأهيل العلمي لبدء البحث العلمي من دون مشرف. أي أنها شهادة كفاءة وقدرة على امتلاك أدوات البحث العلمي».

ويتابع الدكتور سليمان تفسيره للدكتوراه: «إنها بمعنى آخر تعني القدرة على بدء -وأركز جداً على كلمة بدء- إجراء البحوث العلمية في تخصص الدراسة. هذا لا يمنع من أن يجمع المرء بين قدرة البحث العلمي وقدرة العمل الصحفي. فالدكتوراه هي واحدة من ضمن الخبرات الأخرى قد تكون مفيدة في العمل الصحفي، لكنها لا تعني بالضرورة القدرة على الكتابة الصحفية المتميزة.

رقابة

ينبذ التطرف والتعصب، لكنه يكرس الإقليمية عندما حط رحاله في جريدة «الوطن» دون سائر الصحف السعودية كونها تصدر من المنطقة التي صادقت على ولادته، وتضم أسرته بين ضلوعها... كيف يرى الهتلان هذا الحديث المطبوع على وجوه عدة؟ يرد بوضوح: «لم أكتب في «الوطن» لأنها تصدر من عسير. أكتب في «الوطن» لأنها دعتني للكتابة. كتبت في «الوطن» لأنها أيضاً احتفت بأول مقال أنشره في صحيفة أمريكية كبرى ولأنها لا تمارس نفس الرقابة الصارمة التي تذوقت مرارتها كثيراً في أكثر من موقع. أطمئنك أنه لا يوجد أي من أقاربي أو أفراد أسرتي ضمن العاملين بـ الوطن».

ويردف: «أنظر لكل رموز العمل في «الوطن»، من الإدارة إلى التحرير إلى قائمة الكتّاب... من فيها من الجنوب؟ لعل نسبة العاملين في «الوطن» من أبناء الجنوب هي الأقل وما عليك كي تتأكد إلا أن تقرأ أسماء قيادات العمل في الإدارة وفي التحرير وفي قائمة الكتاب، إذ إن «الوطن» الآن قد تجاوزت «الإقليمية» في إدارتها وفي أدائها، وإلا لما حققت هذا الانتشار الواسع في كل مناطق المملكة، على الرغم من حداثة التجربة وكثرة الضغوط».

حياة خاصة

ماذا يدور في ذهن سليمان حالياً؟ هل يفتش عن منصب حكومي كبير، يبعثر في أنحائه أحلامه؟ يقول: «أنا من قوم يقولون «من طلب الإمارة فلا تؤمروه». ولم أتعلم بعد كيف أبحث عن «منصب حكومي» و إلا لما آمنت بأهمية «الكتابة الناقدة» التي قد تكون عائقاً أمام «المنصب الحكومي». لكن أكثر ما يشغلني الآن هو فهم أشمل لظروف مجتمعي ومشكلاته والبحث عن آلية مختلفة لتقديم أطروحات ورؤى جديدة –مع قيادات التنوير في بلادي التي لا تزال صامدة– عسى أن نُخرج مجتمعنا من سجن الماضي إلى حقائق الراهن وتحدياته الحقيقية».

ترسم الفتيات صورته في كراستهن ودفاترهن الوردية ويسبح وسطها بجوار فراشات ملونة وعصافير صغيرة، فتيات كثر يحلمن بالاقتران به، هل هو مرتبط؟ ماذا عن حياته الخاصة؟ سؤال يجيب عليه الباحث السعودي قائلاً: «أنت تذكرني بالعشرات، في بلادي، ممن يسألونني: هل أنت متزوج؟ ثم لما أجيب، يتبع السؤالَ سؤالٌ آخر أكثر اقتحاماً للخصوصية: «ليش ما تزوجت؟ عسى المانع خير؟» لا. أنا غير متزوج. لكنني نشأت في منطقة كان للمرأة فيها حضور فاعل ومتحضر قبل أن تغير عواصف التخلف

والجهل لتفرض -بكل وسائل التسلط- ثقافة جديدة تقمع أي حضور حقيقي للمرأة في مجتمعي».

يتحدث عن مسقط رأسه: «في قريتي، كان بعض الآباء من الجيل الذي انتهى أو في طريق الانقراض، يعتز وقت الشدة ويفاخر بأنه «أبو نورة» أو «أبو فاطمة» أو «أخو هيلة». والآن تلاشى دور المرأة وأصبح حضورها النادر جداً يقلق «رجولة» بعض أبناء الجيل ممن تلقفوا ثقافة غريبة على ثقافتهم الحقيقية إلى درجة أن الرجل يخجل من ذكر اسم زوجته أو اسم أمه أمام الآخرين».

يسحبه الحزن من يديه إلى باب الماضي، يطرقه وينتحب: «كان أجدادنا، في الجاهلية الأولى، يدفنون بناتهم أحياء. ونحن، في جاهليتنا المعاصرة، ما زلنا نمارس عادة الوأد بمحاصرة بناتنا في صناديق مغلقة لا تكاد تدخلها الشمس حتى أصبحت المرأة في وعي «الرجل» المهيمن على كل شيء في مجتمعه ليست سوى مدعاة للشك والريبة». يسترسل: «لقد قزّمنا أنفسنا -كمجتمع- يوم قزّمنا دور المرأة وحاصرناها حتى في إنسانيتها وحرمنا مجتمعنا من فرص حقيقية للإبداع والإسهام. حينما أجلس في جامعتي هنا أمام أستاذة أو باحثة مميزة أشعر بالحزن، لأن المرأة الفاعلة -مثلها مثل الرجل- تحرضني على السؤال: كم في مجتمعي من موهبة موؤودة؟».

اليوم الأخير

كيف كان يومك الأول في أميركا وماذا عن البارحة؟ يقول الدكتور سليمان الهتلان: «وصلت مطار كندي بنيويورك مرتبكاً، قلقاً وخائفاً أن أضيع. كان علي أن أجد طريقي إلى شركة الطيران التي سأسافر عبرها إلى سانت لويس – ميزوري ومن هناك إلى كاربونديل بـ إلينوي. انتظرت. ترددت على بوفيه صغير وبتلعثم طلبت شاياً. وكنت أشرب شراباً بارداً سيئ الطعم. عدت مرة أخرى وكررت الطلب: شاياً. ومن جديد أتذوق نفس الطعم البارد. مرت أشهر قبل أن أعرف أنني كنت أشرب شيئاً اسمه شاياً بارداً».

ويختم حديثه: «البارحة؟... أعدت قراءة وكتابة إجاباتي على أسئلتك!».

الروائي السعودي
عبده خال في حوار شامل

عبده خال: أهرب من الضباع!(*)

مشطت أمي شعر رأسي، سلمتني إلى والدي وإبريق الشاي، ركبت سيارته وسعادة تغمرني، بينما أتلقى نصائحه الواحدة تلو الأخرى: «عليك أن تبقى صامتاً، لا تحرك أقدامك بشراهة كما تفعل دائماً، لا تتنفس أو تعلّق على ما يقول، أسئلتك يا بني، دعها تنتظرني حتى نعود إلى المنزل». ظل والدي يكرر تعليماته دون انقطاع حتى وصلنا إلى باب جمعية الثقافة والفنون بمدينة الهفوف (شرق السعودية)، حينها رمقني بحدة، تأملني من الأسفل إلى الأعلى، فحصني بدقة متناهية، ابتسم، أخرج الإبريق من أمعاء السيارة، واختفينا الثلاثة في الداخل حيث أمسية عبده خال...

(*) نشر في 22 ديسمبر (كانون الأول) 2004.

مرت سنوات عديدة على المشهد السابق، لكنه يمر أمامي كلما رأيت صورة القاصّ والروائي السعودي عبده خال (مواليد 1962) وابتسامته المائلة، تلك التي تهزني وأمسيته العالقة... حان الوقت لأقول لأبي، أخيراً التقيت مع من تحبه وأحبه، في حوار تكلم عبره عن سنوات مضت: «كنت طفلاً، يتم حشري في سيارة البيجو من مواقف جدة لأعبر كل هذه المسافة في برد قارس». وعبر الكاتب عبده عن عدم ارتياحه من أحد الأسئلة: «أحتاج لأن ألغي سؤالك، سأكون سعيداً لو أشرت مباشرة إلى مواطن هذه التهم».

ثلاث حلقات تدفق عبرها خال، تحدث عن دور النشر، الأشباح الإلكترونية، حقائب السفر المتوحشة، «عكاظ»، «الوطن»، الضباع والمكان الذي تنام فيه شهادته الجامعية.

ذئاب وجن

ولد عبده خال في قرية المجنة بمنطقة جازان (جنوب السعودية) عام 1962، تفاصيل استيقظ عليها ما زالت تملأ ذاكرته الطرية، يهطل: «أذكر طفولة عذبة، التصقت فيها بتفاصيل الحياة بشتى أنواعها، طفل لأسرة زراعية تمتد جذورها لأرض عميقة، مهمتها الفلاحة، وانتظار عذاق السنابل لتعبر بها حياة متقلبة».

لن يبوح بكل شيء، هكذا أشار الروائي خال بوضوح في سياق إجابته المقبلة، إذاً سنصغي إلى بعض حكايات الطفولة، دعونا نتمتع بالصغائر، هل جربتم قراءة ما بين السطور؟ هاتوا آذانكم، لنصغي إلى الأصوات المخبوءة، إلى حديث الأكواخ الصغيرة الغضة: «عشت بين الأشجار وطمي الأودية، وملاحقة العصافير، والخشية من الأمطار والصواعق، وبناء الأكواخ، والركض في الخبوت بحثاً عن الأرانب، وهرباً من الضباع والثعابين والذئاب، وفي الليل تأتي الحكاية بالجن وأحلام الفقراء بالعثور على خاتم سليمان حياة مليئة بالسحر والدهشة، لا لن أحدثك عن كل التفاصيل».

لماذا ترك القرية وهجرها كالبقية؟ ألا يشعر بوخز حاد وتأنيب ضمير؟ يجيب القاص عبده: «حين نكون أطفالاً لا نعرف سبب ارتحال ذوينا، الآن وبعد كل هذه السنين أجد أن الارتحال كان ضرورياً كردّ فعل طبيعي لقسوة الحياة هناك، فالمسافة الزمنية بيني وبين تلك الطفولة تقدر بخمسة وثلاثين عاماً، غدت القرية ذكرى جالبة للشجن، ولو استجبت لحالة الشجن هذه فلن أكون صادقاً لو قلت لك إني لن أستطيع أن أعيش في قريتي الآن، لقد تلوّثت بالمدينة ولم أعد كائناً مستأنساً لأن أعيش حياة القرية، كما أن المدينة غزت القرى العربية وحولتها إلى أماكن مستلبة لم تعد قابضة إلا على مسمياتها».

قبل الخديعة

زميلي سنوي شراحيلي (مواليد 1972) يدرس الدكتوراه في فلوريدا، أخبرته بأنني سأحاور عبده خال، انزلق الفرح من عينيه، قال بكل وضوح: «لا أحب خال لأنه ابن منطقتي فحسب، أحبه لأنه اكتشف القرى، لونها، أريدك يا عبد الله أن تراقب نزفه، إنه حار، لاذع، تمهل وأنت تشرب كلماته، أرجوك اقرأ عليه السلام واعتنِ به». جُمل زميلي شراحيلي المتراصة والساخنة رافقتني طوال الإعداد للقاء خال، شعرت أنني يجب أن أضعها في المكان المناسب، حقنتها في مطلع الفقرة الثانية تلوح للروائي خال كجموع غفيرة مودعة قبل أن نغادر مؤقتاً الحديث عن مسقط رأسه وصديقي وننتقل إلى جدة التي يعبر عنها ضيفنا قائلاً: «عشت في مدينة جدة منذ أن كان عمري ست سنوات، عشت براءة المدينة حينما كانت لا تزال ساذجة لا تعرف المكر والخديعة، عشتها وهي جدر منخفضة، وبيوت متلاصقة وأبوابها تفضي لبعضها، وغدوت مشطوراً بين ماضيين، ماضي القرية وماضي المدينة، ولم يكن الزمن رحيماً في تقديم حياة استهلاكية وأكثر سرعة وفجاجة، كان علي أن أتوازن من خلال الكتابة، في محاولة لاستعادة الماضي بترتيب سردي لا يغفل محورية التغذية الثقافية التي ضُخت في أوردة المدينة وفي تعرجات القرية».

يبدو أنك رومانسي، يجيب بسرعة: «لست رومانسياً –بمفهوم الرومانسية المتداول– في هذا الجانب، ثمة معادلات كانت تكتب، والرياضيون مغرمون بالمجاهيل، وفي التغيرات السريعة والمتلاحقة كان علي أثناء الكتابة متابعة تلك المجاهيل وإظهارها كنص روائي يجسد تشوهات الحلول غير المنطقية التي دوناها في كراريسنا من غير أن نفقه نوعية تلك المعادلات».

وهل الكتابة قادرة على ترتيب المجاهيل؟ يرد: «الكتابة بناء هندسي قائم على فرضيات لدراسة المتغيرات، وهو بهذا يحقق تلمس كيف تمّت صياغة المعادلات التي أوصلتنا إلى الحاضر، وهي ليس بالمفهوم السطحي الذي ترسخ في أذهان الكثيرين من كونها كتابة متعة أو تسلية، هي عملية معقدة لإعادة ترتيب عشوائية ما حدث.. وفي أحيان (خربشة) الواقع كنقمة على من صنع كل هذه العشوائية، وشوّه حياتنا».

يفسر الكتابة وفائدتها: «الفائدة بمعناها المادي غير محسوسة لدى المتلقي، هي تحدث أثرها فيه من خلال تجسيد جماليات فنية، هي تسعى لبذر المشاكسة مع الواقع مستهدفة التحريض لإعادة صياغة تشوهات الواقع، فأنت لا تستطيع إلغاء هذه التشوهات، ولكنك قادر على فضحها، والبحث عن آفاق

جديدة لكتابة مستقبل أقل تشوهاً مما حدث، الكتابة عندي هي ترتيب الفراغ القادم، بجعله أكثر مقدرة لاستقبال الأحلام، الكتابة حالمة لخلق الفردوس المفقود».

الكثير من الرومانسية تفوح من حديث خال يبررها: «الرومانسية من وجهي نظري أجدها ملتصقة بنا كبشر، فنحن لا نستطيع التخلص من أعماقنا، وهي أيضاً ليست كما تم ترسيخها من كونها معنية بتجسيد حالات عاطفية ساذجة كما أرادت السينما العربية أن تجعلها علاقات عاطفية محمومة».

يتابع: «الرومانسية عندي مرتبطة بأعماق البشر وبما تموج به النفوس من عواطف متناقضة تصل في أحيان إلى الرذيلة، الرومانسية شبكة عنكبوتية معقدة تظللنا بالكلمات بينما هي مغارات: توجد بها الشلالات والأزهار ويوجد بها أيضاً السباع والأفاعي، هي ليست تلك الرومانسية التي يتم التضليل على فجواتها بوضع لافتات مغرية بالدخول إليها لمجرد دلق مشاعر عاطفية تقليداً لهيام عاشقة أو عاشق».

طرق شائكة

استمد خال رواياته من الطرق المعبدة التي سلكها، الصحراء التي شقها من الجنوب إلى الشمال، التضاريس التي تعلو الوجوه والأرض، أتابع كتابات خال التي غرسها في صفحات ومضى، عرعر (شمال السعودية) كانت ولا تزال ترتبط بشكل أو آخر به وتحديداً عندما أشار إلى إقامته في أنحائها في أحد تصريحاته الصحافية السابقة، يقول لي: «لم تكن عرعر هي المدينة الثانية التي عبرتها، سبقها عبور لمدن كثيرة، بدأت بعبور لمدينة جازان، ثم مدن امتدت على طريق الجنوب حتى بلغت بي لمدينة جدة، إلا أن عبوري لمدينة الرياض هو الإحساس الأول بالفقد والغربة». يروي القاص خال المزيد عن الرياض: «كان عمري عشر سنوات حينما سافرت وحيداً وعن طريق البر لتلك المدينة القابعة فوق هضبة كأسد ينتظر الداخلين لالتهامهم، هناك تعرفت على الصحراء، والبرد، والعزلة، وحياة مليئة بثقافة مغايرة تماماً لما عشت عليه». يكمل: «ثم ارتحلت إلى مدينة الظهران، ثم عرعر، وكل مدينة من هذه المدن كنت أسيراً لها حاملاً ذهنية قروي يحن لرؤية السماء الملبدة بالغيوم ورؤية البروق المتناثرة في السماء، عبرتني كل هذه الرحلات طفلاً أو شاباً غضاً، تاركة حنيناً عاصفاً، مكنني من تجميع مشاعر اللوعة والشعور بالفقد الدائم، هذا الفقد كانت

ترممه قراءات –من غير وعي– كنت أحاول من خلالها استعادة حياة مستقرة، فإذا بالقراءة تقودني إلى غربة مضاعفة، غربة تحرك قوارب الشوق دائماً».

ملابس مثيرة

قبل شهور قليلة، اضطررت لسفر طويل، صرفتُ نحو 35 ساعة بالسيارة في طريق يربط غرب أميركا بذيلها (فلوريدا)، تناوبت وصديقي قيادة المركبة، عندما يحين دوري في القيادة، انشغل بالغناء بأصابعي، ترقص على المقود، أما عندما يجيء دور رفيقي، فتتفرغ أظافري الخشنة لرسم الطريق على جلدي، أصنع خطوطاً بيضاء حادة لا تجف إلا عندما أصل، ماذا فعل الارتحال بخال؟ «الترحال أكسبني تنوع المكان، بقاء شخوص عبروني أو عبرتهم أثناء السفر، كنت أسافر عبر البر لمدينة الرياض قاطعاً مسافة ما يقارب 1200 كيلو مع مسافرين لا أعرفهم ولا يعرفوني، كنت طفلاً، يتم حشري في سيارة البيجو من مواقف جدة لأعبر كل هذه المسافة في برد قارس من غير أن يوجد رجل كبير يرعى طفولتي تلك، هذه الوحدة المبكرة مكنتني من التربص بمن هم حولي وقراءة خبايا أنفسهم ومراقبة تفاصيل الوجه، وسماع الحكايات التي تنتهي ولا ينتهي ذلك الخط الطويل الممل». يواصل

عبده خال حديثه عن الطريق وملابسه المثيرة: «كانت هناك استراحات لهذه الرحلة الطويلة، كنا ندخل إلى مدن موحشة ليلاً، ترتدي ملابس ثقيلة لتدفع برداً ضروساً، ونبقى في مقاهيها لساعات». يتابع: «هذه الساعات تكررت خلال ثلاث سنوات متتالية أقطع فيها خط الرياض ذهاباً وإياباً –الغريب أنها كانت تتم في فصل الشتاء- وعلى رغم مضي سنوات طويلة على تلك الرحلات إلا أنها ظلت باقية بشخوصها ومدنها (الطائف، الحوية، عفيف، ظلم، شقراء) مدن كثيرة تركت في داخلي شيئاً من قسوتها أو وداعتها أو لوعتها أو وحشيتها... عشت في أكثر من مدينة، وكنت أسافر لها وحيداً». ماذا تبقى من تلك الرحلات في ذاكرته الحافلة: «من تلك الرحلات غدوت كارهاً للمواقف ومن رؤية الغرباء، أشعر بشيء يجز حنجرتي حينما أرى رجلاً يحمل حقيبة وعليه علامات السفر.. ومن مساوئ تلك الرحلات أني غدوت لا أحب السفر، أظل في مدينة جدة طوال الوقت ولا يحركني لخارجها سوى أمر ملح كاستجابة لدعوة أو محاولة للخروج من اختناق حياة اجتماعية».

الكتابة وحصص التعبير

سؤال كلاسيكي، يبدو كأنه جندي يلاحقني وهراوته، سأرضخ له على مضض: متى بدأت الكتابة؟ يجيب خال: «الكتابة

ككتابة بها التخيل واختيار المفردة بدأت في وقت مبكر، كرسائل لحبيبة، ثم تحوّلت إلى كاتب رسائل للمحبين، وفي ثالثة ثانوي، نبهتني جملة لأحد الزملاء بأني أجيد الكتابة، أو بمعنى أصح قال: أحسن من يكتب التعبير بالفصل هو عبده، وتحول هذا الإطراء إلى رغبة دائمة للخروج للقاء ما كتبته في حصص التعبير، وفي موجة ظروف عاصفة، وجدت نفسي مقذوفاً بين الأوراق والمفردات في محاولة لكتابة رسائل عشق منشورة، بدأت بقصة «في الغروب موت الشمس» حظيت بالاهتمام ونشرت في ملحق ثقافي «دنيا الأدب» وأذيعت كنموذج من الأدب السعودي، كان عمري آنذاك ثمانية عشر عاماً، وبسبب تفريغ انحرفت لكتابة شعر رديء ومفكك».

هل يذكر تفاصيل القصة الأولى، يتذمر القاص عبده: «الآن أشعر بملل، ولست راغباً في ذلك».

ما تفسيرك للملل؟ «شعور يخلق في داخلك ضجراً من شيء ما، ومولدات هذا الشعور لا تحصى، لكن الأمر أصبح مفجعاً لأن الغالبية يسيرون مرتدين هذا الشعور».

كيف؟ يشرح: «الذي حدث أننا جميعاً تركنا الطبيعة، ودخلنا إلى سجوننا (وأقصد بها منازلنا)، فمنازلنا ذات تصاميم قاتلة

تبعدك عن عيون الشمس وعن التراب وعن الأشجار وعن كل مكوّنات الطبيعة، ودخولنا إلى المنازل ولَّد لدينا شعور السجين، ألا تلاحظ أن حياتنا تحوّلت إلى مشاريع مستقبلية؟». يضيف: «كل حلم يتم ترحيله للمستقبل، وبما فيها رؤية الطبيعة حيث تكون في الإجازة ننتقل بين مفردات الطبيعة لنعاود سجناً سنوياً لا ينتهي إلا بنهايتنا، وفي داخل سجوننا، لا نحلم بشيء سوى كيف نتجاوز اليوم القادم، بمتطلباته واحتياجاته، غدا الركض لتأمين قوت الحياة مكلفاً، وتحولت الأشياء إلى استهلاك غير ممتع، ما خلق في داخلنا ضجر السجين الذي ينتظر خروجه من هذا القفص، وفي أحيان لا يعود راغباً في الخروج من بيته، لأنه ألف الحياة المعلبة».

يوضح: «فنحن نستعير من أغذيتنا المعلبة طريقة تواجدها، فالقروي يخرج ليزرع غذاءه ويحتك بكل مفردات الطبيعة، يمارس حياة مفتوحة ويتعرض لأحداث تشعره بأنه كائن حي، بينما نحن في المدن معلبون في منازلنا ومكاتبنا، نحن نشبه المعلبات التي ترس داخل السوبر ماركت... نحن نشبه كثيراً أغذيتنا التي نستهلكها، علينا تاريخ صلاحية الألبان سريعة العطب، غدونا سريعي التلف».

عبده خال: سرقوني(*)

حالة سخط تجتاحني عندما أضطر للسفر عبر الطائرات، مقاعدها الضيقة تترك رائحتها الكريهة على قدمي وحذائي وأنحاء متفرقة من جسدي، تجاعيد جديدة تركب قميصي، وهالات سوداء شريرة تستفحل حول عيني، الأسوأ أن يتزامن هذا الشعور الداكن واختبار يطل من نافذة الطائرة بدلاً عن السحب والأصدقاء...

سحبت كتابي من حقيبتي المبللة بعرق المسافرين، وجدت في أطرافه مقاطع من قصص قرأتها، عناوين منعشة مغرية بما فيه الكفاية لأسافر معها واترك الامتحان النائم والكراسي الغاضبة، «البلوزة» لعبده خال، اختصرتها في سطرين، تتوافر في الصفحة

(*) نشر في 24 ديسمبر (كانون الأول) 2004.

38 من أحد كتبي الدراسية: «تعبر الرصيف تاركة جسدها يراقص الهواء والأمكنة، بينما تتوقف رائحتها لتحرس مشيتها وتثبت الأمكنة في مواضعها كي لا تتساقط حجارتها كمداً على اختفائها، في كل هذا الارتباك يزهر بمقدمها بيت واحد، إذ تدس فتنتها في بوابته الواسعة فيضمها ويعبس للدنيا مغلقاً ردفتيه». خال الذي برع في البلوزة وقصص وروايات عدة يكمل اليوم إجاباته في الجزء الثاني من حواره... ينتحب: «من هنا تجد أن الكثيرين يطبعون بالخارج ليس لكون الأندية الأدبية في السعودية رفضت طباعة أعمالهم ولكن لخشية المؤلف من أن يجلس تحت يد حلاق ليس له من موهبة سوى تعلم الحلاقة على رؤوس الأيتام». خال الذي عمل في الصحافة منذ عام 1982 -يشغل منصب مدير تحرير جريدة «عكاظ» السعودية- سيتحدث عن معاناته مع دور النشر، وسيتكلم عن سرقة الصحافة للمبدعين وعدم تدشين موقع إلكتروني، سيعبّر عن رأيه في الرقيب والسماء المستعارة التي تهطل هجوماً.

نباح وتعليب

سوداوية تتشبث بأعمالك، يفسرها: «ألم يقل سلفادور دالي: لقد أكل الذباب الزمن وانتهى كل شيء. تصوّر نفسك كبرطمان عسل يحف بك الذباب، فكيف ستشعر بحلاوة مذاقك في ظل هذا

التهافت المقزّز، الحياة بكل حلاوتها تقاسمها الذباب، ولم يعد بمقدورنا هشهم، نحن مستسلمون لخراطيمهم المدببة النافذة التي تمتص رحيقنا، فبعد أن حوّلونا إلى معلبات، أصبح بمقدورهم محاصرتنا ومصّ ذواتنا، لم نعد نحن نمثل تلونات الحياة، لم نعد فراشات أو نحل نجوب الطبيعة كما أراد الله لنا، ونمتص من رحيقها، غدونا نحن الرحيق». هل نحن أرقام؟ «حياة معكوسة، أنت فيها رقم، ورقم مهمل، لا تزورك العمليات الحسابية التي يقوم بها رجال الأعمال، أنت رقم بعد فاصلة وتسبقك أرقام كثيرة، وحين يتم التقريب تحذف لأنك أصغر من أن تلحق بالرقم الذي يسبقك، في هذا الوضع، يأتي الروائي ليكشف الحدود الضيقة لتعليبنا ونوعية تغليفنا».

هل رواية نباح إشارة لهذا التعليب؟، يجيب: «نباح أشبه بمن دخل إلى مخزن معلبات، وأراد أن ينثر كل تلك العلب المختومة، أراد أن يفتحها مجتمعة ليقول للمستهلكين إنها مواد ضارة لا تصلح للاستهلاك الآدمي.. هي كشف للعبة الأوغاد، ولذلك كان الإهداء كالتالي: إلى أوغاد العالم لعنة كبيرة».

بدأ شاعراً فقاصّاً وروائياً، أيجتمع الشاعر والقاص في جسد واحد؟ يبرّر: «كل الدنيا تجتمع داخل المرء، هو محتاج لقنوات

يصرف من خلالها أجزاءً من ذاته، والذات هنا ليست ذاتاً مفردة، بل هي ذات جامعة لمخزون وإرث ثقافي إنساني مهول. فالنفس البشرية وريثة كل المنجزات السابقة الحية والميتة».

هل نحن بقايا أساطير كما زعمت في مقابلة سابقة؟، يرد: «كل فعل إنساني حدث في زمن ماضٍ هرب عبر مخيّلة الإنسان، وظل يتداح من جيل إلى جيل، تحوّل إلى سلوك يومي من غير معرفة بجذره الأسطوري، كثير من سلوكياتنا وتصرفاتنا هي عبادات قديمة، أو مفاهيم سبقت وجودنا بآلاف السنين».

خياط سيئ وحلاق

نريد أن نصغي إلى تجربة الرواية الأولى، كيف قرر خوض غمارها، حتى وصلت إلى المطبعة؟، يلتقط الروائي عبده السؤال، ينهمر: «الإجابة على هذا السؤال هي بحاجة إلى تدوين طويل وممل، لذلك أتصور أن الفرصة غير متاحة لكتابة طويلة في هذا الشأن، خاصة ونحن مسروقون من قبل دور النشر، نحن المقصودون بالمثل القائل: رزق الهبل على المجانين».

يبدو أنك تحمل تجربة سيئة مع الناشرين؟ يعلق: «الناشرون جزء من كركبة هذه الأمّة، هم يحملون بذرة ثقافة إهمال الفعل

الجادّ، ويتحول لديهم المؤلف إلى كائن مستضعف منحور، ويريد أن يضع دمه في إناء، وهم يتفضلون بإعطائك هذا الإناء، وفي نظرهم أنهم بهذا الفعل يقدّمون لك خدمة نبيلة، وليس من النبل أن تطالبهم بثمن دمك وهم الذين حملوه في وعاء».

«حوار على بوابة الأرض» -مجموعة قصصية صادرة عن نادي جازان الأدبي 1984، «حكايات المداد» - مجموعة قصص للأطفال صدرت عن نادي جدة الأدبي 1994، لماذا يشعر القاص والروائي السعودي بخيبة بسبب عدم اهتمام الأندية الأدبية بإنتاجه بينما صدر لك أكثر من عمل من هذه الأندية؟ يقول: «لم يصدر لي من الأندية السعودية سوى عملين فقط من مجموع 11 عملاً، فالعمل الأول كان عن «نادي جازان»، ومجموعة قصص للأطفال صدرت مجتمعة في كتاب واحد عن نادي جدة الأدبي بمناسبة احتفاء الجنادرية بأدب الطفل، وما سوى ذلك نشر بالخارج، ولو كنت مرتهناً للنشر داخل هذه الأندية لما نشرت أي رواية». ما السبب؟ يردّ: «السبب ليس في الأندية الأدبية بل في نظام المطبوعات الذي يحوّل العمل المكتوب إلى أشلاء ممزقة، وكأنك ذهبت به إلى خياط سيئ الصنعة، فالقصقصة هي الشارة المميزة لنظام المطبوعات».

يتابع خال: «ومن هنا تجد أن الكثيرين يطبعون بالخارج، ليس لكون الأندية رفضت طباعة أعمالهم ولكن لخشية المؤلف من أن يجلس تحت يد حلاق ليس له من موهبة سوى تعلم الحلاقة على رؤوس الأيتام».

مشاكل المؤلف ودور النشر بالغة في الدول العربية كيف استطعت أن تقمع العوائق وتمضي؟ يفسر: «في البدء كنت أدفع مقابلاً للنشر، وهذه التجربة قمت بها ثلاث مرات، وبعد ذلك غدوت أطبع بمقابل من قبل الدور العربية، المضحك أن هذا المقابل يتم على الورق، حيث ينص العقد أن لك كذا من كل نسخة تباع، والآن مضت سنوات من غير أن أحصل على المقابل». صدر لك عن غير دار نشر، مرة من «الساقي» وأخرى من «رياض الريِّس» ولا ننسى «الجمل»، ألم تفهمك دار محدّدة؟ يتنفّس عبده خال: «ليس فهماً، وإنما الظروف جاءت بهذه الصورة».

«لا يعنيني قولك!»

«الموت يمر من هنا» ملبدة بالغموض ومفخخة بالألغاز، هناك إسقاطات كثيرة يمارسها خال في سرده، لماذا لا تكون مباشراً؟ هل هو الخوف أم المتعة؟ يعصر السؤال، يمزقه، يغضب: «أحتاج

لأن ألغي سؤالك، سأكون سعيداً لو أشرت مباشرة إلى مواطن هذه التهم، ولا يضرك أن تقول إني سمعت، فلو قرأت الرواية وخرجت بهذه الرؤيا، فسأقول لك هذا رأيك، ولكن هذا السؤال يمكن أنه أخذ من منتدى أو من سؤال صحفي غير مسؤول، لأن كثيراً من الأسئلة الصحفية هي نتاج ثقافة سمعية تريد أن تثير الغبار، وهذا القول ليس دفاعاً عن الرواية». يضيف: «فلو قرأتها وقلت إنها عمل سيئ فلن يغضبني هذا القول لأنك قمت برحلة لاستكشاف العمل، وأتصوّر أن رواية الموت يمرّ من هنا أكثر الروايات التي كتبتها وضوحاً واستقامة مع ذهنية متلقٍّ يسعى للوصول إلى السرد المشبع لنهمه، ولو كان سؤالك متعلقاً برواية الطين فربما أقول لك إن رواية الطين لها مستويات متعدّدة في تلقيها، على أية حال لا يضرّني أن يقول البعض إن الرواية سيئة، فقط يقولها بعد القراءة وقبلها لو قلت إنها عظيمة أو سيئة لن يعنيني قولك». يتابع خال إجابته: «ومقابل سؤالك هذا مئات ممن قرؤوا هذه الرواية أبدوا غرامهم بها ونسوا بقية الأعمال، وربما يأتي أحدهم ويقول إنك لم تكتب رواية كرواية الموت يمر من هنا.. وفي هذا الاختلاف يمكنني أن أسهب في تفسيرات لفضح العلاقة المتوترة بين القارئ والكاتب، ثمة علاقة غير متجانسة بينهما خاصة في عالمك العربي.. ولذلك لن أبحر هنا».

ألا تهتم بالقارئ؟ يقول الروائي السعودي: «على العكس أهتم به كثيراً، أهتم به كمتلقٍّ وليس كفارض سلطة، بمعنى أن أتحوّل رهن إشارته وأكتب ما يرغب فيه، أي أني أحرص ألا أكون مخطوفاً له، وأقبل أن يكون أسيراً عندي».

لم أفهمك؟ يهطل موضحاً: «حينما يتناول قارئ كتاباً معيّناً فهذا اتفاق ضمني أن ثمة مرسِلاً ومستقبلاً، وفي الرواية والقصة تحديداً، يتحول المرسل إلى سلطة عليك أن تتبع قوانين لعبتها، وأنت داخل هذه اللعبة ليست هناك فرصة لاختراق قوانينها، أنت تابع فيها للأحداث وأجواء العمل، ولا تستطيع أن تنكث غزل الروائي بقولك لو فعلت كذا، يجوز لك هذا النكث بعد أن تنتهي من القراءة (ويظل رأياً غير معتدّ به؛ لأن العمل كُتب وانتهى كل شيء) كنوع من الانتصار على الكاتب الذي أسرك داخل نصه، فلم يعد لك خيار سوى اتّباع خطواته كقائد أخرق من وجهة نظرك، ولكن مخالفتك له قد تؤدي بك إلى خارج المعركة التي يقودها». ويعرج إلى الحديث عن النقاد: «هذا ما يفسر كلمة (لكن) عند النقاد حينما يقرؤون عملاً عظيماً فهم يريدون الانتصار على الكاتب، ولأنه مجيد في عمله لا يستطيعون سوى تمجيد الرواية ويستدركون انهزاميتهم أمام النص الفذ بقولهم (ولكن)، إذا يجوز لك أن تقذف بالرواية وتتهمها بما شئت من الأوصاف، ولكن هذا التمرد لا يعطيك الحق في الخروج على قوانين اللعبة أثناء القراءة».

وهل الكتابة مقدسة بحيث لا تنقض؟ يجيب: «مقدسة في داخلها، أي أن الرواية مثلاً حياة قائمة بذاتها، وحيث تحاول نقضها أثناء القراءة فأنت تخترق قانونها، ما يستوجب معاقبتك بنفيك خارجها.. أما بعد الخروج من فضاء الرواية وانتهائك منها يمكنك أن تكون أشبه بالمُعارض أو اللاجئ السياسي تشتمها عبر قنوات متعددة وبينك وبين أصدقائك وأن تشوّهها كما تشاء لكنك لن تستطيع إسقاطها».

النضال في السعودية

«نوار»، «يحيى الغريب»، وغيرهما أبطال صنعهم خال في أعماله، كيف يختار الأسماء، هل تمطرها أصابعه مباشرة أم يخلقها بتأنٍّ؟ يشير خال: «هذا السؤال يذكرني برائعة فيروز (أسامينا شو تعبوا أهلينا تا لأوها) كما تأتي أقدارنا بأسمائنا، تأتي الرواية بأسماء شخوصها، وكما يتعب أهلنا في البحث عن اسم يليق بنا، كذلك الروائي يتعب في البحث عن أسماء شخوصه، وإن بدت أسماء مستهلكة إلا أنها قدر، كما أني أرى أن الأسماء هي صندوق البريد الذي تصل بواسطته أقدارنا، أو هكذا يرى بطل رواية الطين».

الشاعر البحريني قاسم حداد انطلق بوضوح عندما تفرغ لعمله الأدبي، ألم يحاول الكاتب السعودي الحصول على هذه الفرصة؟

تأتي إجابته هكذا، مُرة بائسة كجدّة بلا أحفاد، لنستمع إلى النشيج الذي عزفه بقسوة: «أنت تعيش في أمّة عربية لا تقدر الفن بصوره المختلفة، ويحرمه البعض، فكيف لمحرم أن يُحترم، وتظل كفنّان (بأي شكل) تحاول الجمع بين المتناقضات محاربتك كفنان والبحث عن رزقك والدأب على مواصلة كتابة ما يعتبر محرّماً، كنت أقول إننا في السعودية يكفي أن تكتب (بغض النظر عن تميزه) لكي تحصل على لقب مناضل». يضيف باكياً: «الكتابة لدينا متعبة، فأنت محاصر بالمجتمع الذي لا يتسامح مع الفن، واستهلاكه استهلاكاً ضئيلاً، وهؤلاء الذين يستهلكونه يستهلكونه من علوّ ولا يغوصون في مجاهيله، ويخرجون بآراء مبتسرة يتم تعميمها من خلال الصحف، لتغدو حكماً غير قابل للنقض، ومن هنا نشأت ثقافة سمعية سطحية عما يكتب من روايات. مسألة مقرفة لدرجة الغثيان».

لماذا يكتب ما دام يحمل هذا الألم؟ يقول: «أنا مصاب بداء الكتابة، أصل إلى أقصى حالات الحمى وربما الغيبوبة وفي كل مرة أنتشل نفسي من هذا الوهن بيقين أنني سأتوقف حتى إذ رأيت مشهداً أو سمعت حكاية أو ماج داخلي بحكاية جلست للكتابة، الكتابة عشق، ومن ذا الذي يهجر عشقه؟ حتى وإن استطاع سيظل يحن لها بقية العمر، ويضرب وجهه كمداً لهجره لمن يحب، كما

أن العذاب داخلها أفضل من العذاب خارجها». هل فعلاً أنك كاتب المهمّشين؟ يردّ: «نحن نفهم المهمشين أنهم فقط تلك الشرائح المنسية من المجتمع ومن الحظوظ، وفي نظري أن المهمشين قاعدة كبيرة من مختلف أطياف وطبقات المجتمع، فوزير فقد منصبه شخصية مهمّشة، ووزير لا يستطيع أن يفعل ما يريد هو شخصية مهمّشة، ورجل أعمال محروم من نعمة ما هو شخصية مهمّشة، ومواطن لا يقدر على المطالبة بحقه شخصية مهمّشة، وألا تستطيع أن تقول ما بداخلك أمام سلطة من السلط فأنت شخصية مهمّشة، إن تهميش الحياة ليست له فئة أو شريحة محدودة».

لكن أعمالك تدور في الطبقات الاجتماعية المسحوقة؟ يبوح عبده خال: «إن تجسد حياة موظف بسيط، أو شخصية مقذوفة في الشوارع الخلفية لمدينة جدة مثلاً، فأنت من خلاله تستطيع أن تسحب الخيط لتصل إلى كوارث لا حصر لها يصنعها الكبار وتقع على رؤوس هؤلاء، فليس هناك شيء يقذف ويظل معلقاً في الهواء، فالمقذوف (من أوامر أو قرارات أو ظلم، أو تعسف) يستجيب لقانون الجاذبية ويسقط على ضحاياه. ومن هنا يأتي دور الروائي لكشف أسباب السقوط ووضع أصبعه في عين المتسبب».

سماء مستعارة

4840 رابط هي نتيجة البحث عن عبده خال عبر محرك البحث الشهير Google أثناء الإعداد للقاء، قاصون إلكترونيون ينتشرون واسمه في أرجاء منتديات أدبية تفاعلية كـ «جسد الثقافة»، «شظايا»، «القصة العربية»، «مدينة على هدب طفل»، «القرية» وغيرها من المواقع هل يتابعها؟ يجيب: «لا أستطيع متابعة من عاش داخل تلك الشبكة، والذي يحدث أن صديقاً يخبرك عن موهبة أو أن يتم التواصل مباشرة فيحدث أن تطلع على بعض التجارب، وأقولها صدقاً إن هناك كتابات آخذة في التشكل بصورة رائعة وجميلة، متواصلة مع أحدث التيارات الأدبية العالمية».

نعود إلى السؤال من تتابع؟ يعترف: «جملة أسماء مزهرة، فهناك أسماء تشكلت في ذلك الفضاء وخرجت إلينا بضوء ساطع، فمحمد علوان على سبيل المثال هو نتاج لهذا الفضاء وقدم روايتين حظيتا بقبول وتفاعل. وهناك مجموعة أسماء سيكون لها شأن جميل في حقول الأدب». يستشهد: «أذكر منهم إسراء عثمان، ومنصور العتيق، أحمد البشري، أمل فاران، خلود السيوطي، أمل القثامي، سعيد الأحمد، بدر السماري، طامي السميري (على المستوى الصحفي).. هذه الأسماء عرفتها بأسمائها الحقيقية،

بينما هناك طابور لا ينتهي من المواهب الجميلة والتي تكتب بأسماء مستعارة لا تعرف من هي على وجه التحديد، والمشكلة في هذه الأسماء أنها تقذف بمواهبها في فضاء متّسع، ولا تحرص على تقديم نفسها للآخرين من خلال الصحف، لأننا إلى الآن لا نزال مجتمعاً ورقياً».

هوجم كثيراً من قِبل أسماء مستعارة في النت، فكيف كان موقفه؟ «لي صديق قال لي لا تخشَ من هذه الأشباح وهي تورية لكونهم أسماء مدسوسة ومختفية خلف أسماء مستعارة، وكل الهجوم الذي قوبلت به جعلني أفتح أذنيَّ جيداً، ثمة كتابات تدرك أن أصحابها مع (الخيل يا شقرا)، وثمة كتابات واعية أستفيد منها وثمة كتابات حاقدة أزيد إشعالها بأن أكتب».

عبده خال: انتظروني وزيراً(*)

أتصنت على جاري عندما تركض الأغاني في شقته الغفيرة، أعول على ذائقته، أترك أذني اليمنى معلقة على الجدار، ملتصقة تماماً بالحائط حتى اكتشف الأغنية وأبحث عنها ومؤدّيها، هذه المرة كانت الألحان لـ «ري شارليز» وهو يغني «جورجيا»، تلك التي انطلقت من الغرفة المجاورة وانتشرت، أعادت «ري» من قبره ليجلس أمامي والبيانو الطويل، تذكرته وهو يعزف ويتحرك بنشوة، يغني بحماسة، أصابعه تهتز بشجاعة، يرقص، والكورال يردّد خلفه بسعادة تختلط بدموع مسجونة.

في الحلقة الثالثة من مقابلة الروائي السعودي عبده خال، يتحدث عن الرقيب والرقص: «حين ترقص أو تتمايل فهذا يعني في ذهنية المجتمع أنك تسير على خطى سامية جمال وتحية كاريوكا ونجوى فؤاد!».

(*) نشر في 26 ديسمبر (كانون الأول) 2006.

ويبكي أيضاً: «ألم يقل معالي الأستاذ عبد الله بالخير إن المجتمع السعودي يسير إلى الجنة بسلاسل...».

هروب

تعبت وغيري للحصول على قصص وأعمال خال القصيرة، مقالاته، الحوارات التي أجريت معه على مرّ السنوات، ضعت بين الأمكنة والغرف، ألا نستحق موقعاً إلكترونياً يضمّنا وكتاباته؟ يجيب: «أنا من الناس الذين يهربون من النت، هربي منه خشية أن أغرق في فضاء متّسع ولا يعود لدي الوقت للكتابة، كما أن الكتابة في النت أو متابعته بالتعليق هنا وهناك يفقدك الدفقات الحيوية للكتابة، لذلك فأنا أتعامل مع هذا العالم بحذر شديد أدخل بحثاً عن معلومة أو قراءة بريد وأخرج على عجلة من أمري».

يتابع: «وجود موقع لي يستوجب متابعته واجتزاء ساعات من اليوم لرؤيته والردود على زائريه، وإذا حسبت اليوم كله فلن تجد بعد ذلك وقتاً لعالمك الذي تعشقه».

وأين نجد كتبك؟ يقول: «في كل العالم باستثناء السعودية». لماذا؟ يردّ الروائي والقاص السعودي: «ألم أقل لك كيف يمكن

لك أن تقدّس المحرّم، يا أخي أنا مستغرب تماماً، فوزير كفازي القصيبي تمنحه الدولة ثقتها في تسيير أدقّ أمورها الحساسة، ويأتي رقيب برتبة (جنرال مزاجي) ليمنع كتبه من الدخول إلى المكتبات السعودية، ولو أن هناك قراءة ثقافية لهذا السلوك فإن نتائجها ستكون فضيحة.. هذا يعني ازدواجية، يعني أن الدولة تسير في طريق والمجتمع يسير في طريق آخر».

يستدل: «ألم يقل معالي الأستاذ عبد الله بالخير إن المجتمع السعودي يسير إلى الجنة بسلاسل.. نحن نقف أمام حائط عالٍ وممتد، وكلما حاولنا اختراقه صعقنا بتيارات كهربائية ذات فولط عال».

أسفل السجاد

قال مدير تحرير جريدة «عكاظ» عبده خال في موقع «شظايا أدبية»: «أنا لست ناجحاً في الجانب الصحفي، فثمة متطلبات تريدها الصحافة المحلية، ولذلك أجد نفسي هارباً من جانبها الصحفي المعني بالقضايا الاجتماعية هارباً إلى الصحافة في جانبها الثقافي». سألته لماذا لم ينجح صحافياً وهو يدرك قيمة الحرف؟ لماذا ترك الصحافة لمن لا يملك اللغة الحقيقية؟

يبرر: «الصحافة لا تريد لغة، تريد حقائق، وفيما مضى من زمن كانت صحافة تسعى لدسّ القمائم تحت السجاد، ولذلك لم أشارك في هذا التدليس، الآن نحن نمتلك هامشاً واسعاً، ومن خلال هذا الهامش تجدني مشاركاً في تقديم رؤيتي عبر زاوية يومية مهمتها إلقاء الضوء على كل تلك القمائم التي تركت أسفل السجاد».

«عكاظ» مؤسسة صحافية كبيرة، لكنها لم تصدر كتباً لشبان، وتدعم المؤلفين، ما دوره كمدير تحرير يعلم حجم معاناة الناشئة؟ يشير خال: «عكاظ مؤسسة مساهمة وكثير من مساهميها لا يعنيهم إلا الأرباح، ومع ذلك كانت هناك محاولات ممن يعنيهم الهمّ الثقافي بتقديم كتب من خلال المؤسسة، وأذكر أنها قدمت جملة كتب جميلة ككتاب الأستاذ أحمد الشيباني -رحمه الله- المترجم والمعني بتطور الفكر الغربي في خمسة أجزاء، وكذلك مجموعة قصصية للراحل سباعي عثمان -رحمه الله- إلا أن هذا المشروع توقف حين اكتشفت المؤسسة أنه مكلف وليس استثمارياً».

يواصل الإجابة: «وقولك ماذا عملت كمدير تحرير، فأقول لك لا تتصور أن المسمى الصحفي يعني شيئاً عند الإدارة المعنية بالأرباح، فالمسمى مسمى تحريري وليس إدارياً، وقد تجد

المحررين يصيحون بأعلى صوت هذا كذا، ويأتي الإداري ويقول لا كذا.. أنت في زمن الربح وليس في زمن دعم الثقافة، هل تريد دليلاً؟».

يتساءل: «كم عدد رجال الأعمال في البلد؟ من منهم استثمر في الثقافة؟ كم رجل أعمال دعم الثقافة؟ ستكون الإجابة مضحكة.. دع هذا الطريق، فالسير فيه مهلك ونهايته موصدة، ولكي تفتحه أنت محتاج لمواهب هيفاء وهبي!».

ألا يعتقد أن صدور صحيفة «الوطن» من أبها (جنوب السعودية) ساهم في صداع يدبّ في رأس جريدة «عكاظ»؟ وما رأيه في تغيير حجم صحيفته إلى التابلويد؟ يعلق: «عكاظ ليست تابلويد هي صغرت حجمها قليلاً، أما عن «الوطن» فبالعكس، فقد قامت بدور إيجابي حيث فعَّلت المنافسة، وفتحت هامشاً كان نصيبه فصل رؤساء تحريرها».

رقص

قال في سياق مقالة نشرت بعنوان «خليك بالبيت» في مجلة «سيدتي» التي تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والنشر: «قبل

يرد الكاتب خال: «الرقص فرح، ولكنه دخل على ثقافتنا من خلال العيب، وثمة تناقض بين الرقص كفرح كان يتم إحياؤه من خلال الرقصات الشعبية، إلا أن كلمة رقص طبعت على الرقص الشرقي من خلال (وسط) رقصات الستينات والسبعينات الميلادية، وتحول المفهوم إلى مفهوم سيئ لارتباطه بقلة الأدب في ذهنية المجتمع، وحين ترقص أو تتمايل فهذا يعني في ذهنية المجتمع أنك تسير على خطى سامية جمال وتحية كاريوكا ونجوى فؤاد!».

يضيف: «ومع الطفرة الاقتصادية وتحليق معظم الشعب إلى دول مختلفة لم يكن الرقص الشعبي الذي طالما فاخرنا به موجوداً في المراقص بل وجدنا رقصاً مغايراً يحتفي بأن تكون متحرراً من العيب الذي ترسخ في داخلك، ولذلك تجد معظم من ينزل للرقص في الديسكوهات على سبيل المثال أشبه بخشبة تتمايل بيد مجنون لا يهدأ بتاتاً».

ملتقى المثقفين الأول الذي انعقد في الرياض، كيف رآه؟ هل يعتقد القاص خال أن أحداً سيذكر اللقاء الأول بالخير بعد حين؟ يعترف: «هي خطوة كان من المفترض أن نحدثها منذ أربعين سنة، ولو حدثت لكنا الآن في مكان آخر، وما دمنا لم نفعلها إلا الآن فربما تعجل بالمسير.. ربما هي خطوة بحاجة إلى تركيب جناحين

نفاثين لكي تحلق من زمن السير فيه على ظهر دابّة لزمن لم يعد يعتد بالخصوصية أو الحدود الجغرافية والثقافية».

سعد الحميدين وسعيد السريحي رشحا رواية ليلى الجهني «الفردوس اليباب» لمشروع كتاب في جريدة، ماذا قدم الروائي والصحافي خال لليلى، رجاء عالم، ومحمود تراوري أبناء المنطقة الغربية الذين ينتظرون منه المزيد من النصائح والدعم؟

يقول: «من ذكرتهم ليس بيننا فرق سني أو كتابي كبير، ونتعامل كزملاء يسعدنا تقدّم أي منا، ورجاء وليلى صوتان رائعان في ما يقدمانه من أعمال روائية، ويستحقان وضع إبداعهما في كتاب في جريدة».

وحول النصائح يذكر: «إن الأدب ليست به نصائح بالمفهوم الوعظي لكلمة نصيحة، وإنما هناك ذائقة تسيطر عليك أثناء الحديث عن أي عمل إبداعي، وربما لتقاربنا الزمني ووقوفنا في تلقي ماهية الفن تلقياً متقارباً يجعلنا نسير بمحاذاة بعض في فهمنا لهذه الماهية».

فايز أبا

يقول الروائي والصحافي محمود تراوري عن الناقد والكاتب المهم فايز أبا الذي يغيب عن المشهد الثقافي لأسباب صحية: «حين وصفه الكاتب المصري كمال حمدي -عمل محرراً في القسم الثقافي بجريدة «الرياض» السعودية في الثمانينات الميلادية- بأنه صاحب الرأس الصغير الذي يحوي مكتبة متنقلة. لم يكن إلا مدوناً دهشة صغيرة إزاء هذا الكائن العجيب في وعيه واعتزازه بكونه منتمياً للمثقفين الأحرار الذين لم تخضعهم المؤسسة كما يحب أن يقدم نفسه دائماً».

ويوجه الناقد السعودي محمد العباس كلامه لفايز أبا عبر زاوية سابقة نشرها في جريدة اليوم السعودية: «ما رأيتك تصالب ساقاً على ساق، ولا مطأطئاً الرأس أبداً، وعندما تستدعي الأسماء الثقافية المرعبة التي صادفتها وصادقتها، أراك تمتصها من خرافة أنساقها الأسطورية إلى شعبوانية الواقع».

فايز أبا هذا المذهل الذي ترجم بوعي واحترافية، وكتب بإخلاص، لماذا تخلى عنه الجميع؟ من سيمسح دمعة ابنه يوسف؟ يخشى المثقف السعودي كثيراً من عدم تقدير المجتمع

له، ألا يطالب عبده خال معي هيئة الصحافيين ووزارة الإعلام بالاهتمام به وغيره من المبدعين الذين يستحقون العناية؟ يجيب على السؤال قائلاً: «فايز ليس بحاجة لهذا التسوّل، فهو كاتب أفنى حياته لتقديم دور وطني كان من المفترض أن يُلتفت إليه من غير التحفيز الإعلامي لأية جهة كانت، ولو أن لدينا مؤسسات معنية بشأن الثقافة لما سار إلى ما سار إليه حال فائز وكثيرين أمثاله، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر».

يكمل: «كما أن يوسف عذق لسنبلة اسمها هناء حجازي، وهي قاصّة وطبيبة قادرة على أن ترفع عن فائز وابنها هذا التباكي الذي لا يصون كرامة كاتب».

صحافة ومزاوجة

الصحافة سرقت الدكتور عثمان الصيني (نائب رئيس تحرير جريدة «الوطن» السعودية)، والدكتور عبد الله الغذامي (كاتب زاوية في عدد من الصحف العربية) وبعض خال، هل يعتقد أنها ستبتلع عدداً من النقاد، القاصّين والشعراء؟

يرد: «على ما أظن أن الدكتور عبد الله الغذامي لم يستسلم للصحافة ولم يُخطف من داخلها، بمعنى أنه لم يمتهن هذه

المهنة وعن سرقة الصحافة للمبدعين، يقول: «هي قضية طويلة، وباختصار الاحتراق من عدمه يعتمد على الكاتب نفسه، وكيف يرى الصحافة وماذا يريد منها وكلما استطاع المبدع إيجاد معادلته الخاصة بين الصحافة والإبداع استطاع المزاوجة بينهما والخروج بذاته المبدعة من أتون الصحافة».

صدور بيان الـ 26 قبل فترة أثار ردود فعل متباينة، ماذا يقول عبده خال للموقعين، كمواطن سعودي؟

يعلق عليه قائلاً: «لكل فرد أو جماعة حرية التعبير عن ذاتها وفق ما تراه صائباً بشرط ألا تنقض الرأي المخالف لها.. وأتمنى لجميع الشرائح في بلادي أن تستطيع التعبير عن ذاتها بما تشاء من آراء في ظل أحزاب يحكمها قانون شامل يحمي كل فئة من أختها، وتصبح الأفضلية للمشاريع الانتخابية وما تحققه للمواطن».

يضيف: «بالنسبة لبيان الـ 26 فلهم منطلقاتهم، وكان لهذه المنطلقات أيضاً أن ترفض الإرهاب في كل بقاع العالم كما تجيز إخراج المحتل بالقوة عليها (في نفس إطارها) رفض كل الممارسات الإرهابية التي تحيل حياة الآمنين في بقاع الأرض إلى هدف لمجرد الاختلاف الديني أو المذهبي».

الانتخابات الوليدة

انتخابات بلدية تشهدها السعودية حالياً، هل سيرشح خال نفسه عضواً في المجلس البلدي المحلي مستثمراً شهرته ونجاحه؟

يجيب: «أطمح لأن أرشح نفسي لوزارة من الوزارات حين نتدرج في انتخاباتنا الوليدة لهذا المنصب.. وإلى أن يصل قطار التدرج الانتخابي عليَّ جمع أموال طائلة للوصول إلى كرسي الوزارة».

هل يخشى على مستقبل أطفاله وشل، معد، عذب وجوى؟
يقول: «لا أخشى عليهم، منطلقاً من إيمان أن الله خلق ولا يضيع خلقه، وكما عشت منذ صغري محاولاً التخلص من عوائقي اكتسبت لذة العمل، فإذا متُّ سيكتشفون أني تركت لهم مشواراً طويلاً من المجاهدة والتعب، علهم يقتفون أثري ليحققوا ذواتهم».

حصل عبده خال على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية، أين يضعها الآن؟

يبوح: «والله لا أعرف أينِ وضعتها، فبعد أن حصلت عليها وذهبت للخارجية على أمل أن أُوظف فلم أجد بها وظيفة، فثنيتها

من عدة أماكن على شكل صاروخ وطيرتها أمام عيون أسرتي، وبعد أن أنهيت لعبتي تلك صورتها عشرات الصور، ووضعت كل صورة في ملف ووزعت الملفات على جهات العمل، حتى إذ وجدت الوظيفة لم أجد أصل الشهادة، فالذي معي صورة مصدقة على أنها طبق الأصل.

وعملياً ماذا استفدت من دراستي في العلوم السياسية فلم أستفد شيئاً في الناحية العملية، ولولا اهتمامي الثقافي والكتابي لكانت ذكريات يمكن أن أفاخر بها في المقاهي بأني خريج علوم سياسية».

حوار شامل مع الروائية السعودية ليلى الجُهني

ليلى الجُهني:
أنتقلُ من ألمِ إلى ألم(*)

ننتظر الاثنين أسبوعياً بحماسة لنجرّ البحر إلى أقدامنا، نفرش على أطرافه المبللة أحاديثنا، شتائمنا، سخطنا، أحلامنا، وقهوتنا التي لا يتجرعها سوانا، أنا وخالد السعدون (مواليد 1970)، محمد الرشيد (مواليد 1975) وأحياناً صالح الخليف (مواليد 1968)، الأخير يغادرنا دائماً، يذهب بعيداً بعيداً، بعد أن يرتدي سترته الزرقاء الداكنة، نحن الثلاثة لا نحب تلك السترة أبداً، ليس لأنها قصيرة، ضيقة، وأزرارها سوداء قاحلة وإطارها ذهبي باهت، بل لأن حضورها دلالة على غروب صالح وهجرته المؤقتة، قبل أن يسافر الخليف إلى الضفة الأخرى يُخرج من تحت

(*) نشر في 9 فبراير (شباط) 2005.

مقعد سيارته التي تقلّنا الأربعة كتباً كثيرة، يصنع منها أجنحة يطير بها، ليمعن في الغياب!

الاثنين الموافق 17 يناير (كانون الثاني) 2005، عاد خالد إلى سجادتنا الحمراء سريعاً على غير العادة، قطع خشوعنا البالغ، طلب بإصرار أن ننصت لسطرين فقط، من رواية يحملها بضمير بكلتا يديه، غلافها أبيض حالك كلون قلب أمي تماماً، استجبنا أجمعين إلى ندائه، السطران أصبحا عشرة بل مائة، أمضى أربع ساعات، يقلب الرواية صفحةً صفحة بصوته الحادّ ولهجته النجدية الصرفة، تقاسمنا خلالها الأجنحة التي يلفها تحت سترته، شربنا القهوة وبقية الليل!

رواية «الفردوس اليباب» للسعودية ليلى الجهني لم تشغلني 4 ساعات فحسب بل أياماً، منذ أن أطفأت وأصدقائي قمر الاثنين المثير، وهي مصدر اهتمامي، الأسئلة تتناسل في أرجائي، تطرق وتهز كتفي كطفل لحوح، تصرخ في أذني، تجتاحني بشدة كالرياح التي ارتطمت بعباءة الفتاة التي تنتصب على غلاف الرواية، وتقاوم بعناء التيارات المقبلة التي تكاد تقتلعها لولا ساق كعبها التي تدفن رأسها في الأرض حتى لا تذهب ونذهب! حوار من (3) حلقات يجمعنا مع ليلى، يتصدى لأسئلة تعتمر (فيونكة) وأخرى بأنياب شيطان صغير!

امرأة منقبة

ولدت ليلى الجُهني في تبوك عام 1969، الكثير لا يعرف عن هذه المدينة السعودية سوى أنها تقع في الشمال، تنبت على صدرها بساتين جمة، وتمد يدك في أحد أجزائها لتصل إلى الأردن، ويضيف الصديق خالد السعدون من الدمام، زارها مرة واحدة: «إنها امرأة منقبة، لا تجزم، ولا تراهن على سحرها وجاذبيتها حتى تتعرف عليها، شعبها يحب أميرها فهد بن سلطان، ويحب مهاجم فريق كرة القدم في نادي النصر ولاعبه السابق ماجد عبد الله». تبوك التي يسكنها نحو 500 ألف نسمة و 700 ألف وردة، تقول عنها الروائية ليلى التي أبصرت النور بين ذراعيها: «لا تختلف تبوك عن غيرها من المدن. صغيرة ومنظمة، ويحتاج المرء إلى أن يولد ويحيا فيها حياته كاملة كي يتآلف مع انغلاقها -مقارنة بمدن أخرى- ويغفر لها قلة تفاصيلها، وفضول عيونها، وصرامتها إزاء ما يمكن أن تعتبره خروجاً على عرفها السائد».

تصف الجُهني لحظات الارتحال من تبوك إلى المدينة: «عندما غادرناها ذات صباح بعيد باتجاه المدينة المنورة شعرت بحزن عظيم. أحسستُ بأني انتُزعتُ من كل أناسي وأشيائي التي أحبها وألفتها، وأن عليَّ أن أبدأ من جديد في مكان يبدو ما أعرفه

عنه غائماً، قليلاً، غير أكيد. في مسائي الأول في بيتنا الجديد في المدينة المنورة، وقفتُ إزاء نافذة خشبية، عزلاء إلا من ذكريات رطبة دفعتني إلى بكاء، ازدادت حدّته عندما انطبقت النافذة بقوة على أصابعي، فازرَقَّت أربعة من أظافري. شعرتُ وقتها بشعور خانق بالوحدة لم أفهمه إلا عندما كبرتُ قليلاً. وظننتُ أني لن أحب المدينة أبداً؛ لكن الظن خاب».

ماذا أخذت تبوك من ليلى وماذا منحتها؟ تجيب: «الآن أفكر في ما أخذَته مني تبوك وما الذي منحتني إياه، وأكتشف أنها أشياء قليلة. أخذتْ مني بعض أعوام طفولتي، وكلمات قليلة نثرتها عنها هنا وهناك، أخذت مني أيضاً ذكريات غائمة تشحب يوماً بعد يوم، وأحاول دائماً استنقاذها، ومنحتني الشجر، لن أنسى أن كل ما تعلمته عن الشجر كان في بساتين جدي –رحمه الله– فيها، منحتني تبوك كذلك هوسي باستكشاف الأمكنة، لقد كان انتزاعي منها –في ما أعتقد– سبباً رئيساً في هذا الهوس الجميل الذي أنساق له دائماً في كل مكان أعبره أو أقيم فيه، وما أكثر الأمكنة التي عبرتها أو أقمت فيها».

الانحناءة اللافتة إزاء التفاصيل التي ترصدها أصابعها الصغيرة، تبررها: «تصدق ينتابني أحياناً شعور بأني طارئة

على كثير من أمكنةٍ وأناسٍ وحيواتٍ تمرني أو أمرها، يربكني هذا الشعور، لكني لا أملك إزاءه سوى أن أكتب، فقط كي لا أفقد يقيني بأنها عبرتني، وأني عبرتها ولم تكن ظلالاً عبرت ولم تعد».

أمنية مستحيلة

هل غابت العرائس الصغيرة والشرائط الملونة في أيامها الأولى؟ لماذا نشعر أن ليلى ولدت في العشرين؟ من خطف طفولتها؟ «لم تكن طفولة ناقصة. كانت طفولة ناضجة، أردد على مسامع صديقاتي كثيراً أنها كانت طفولة ناضجة أكثر مما ينبغي. لكن ذلك لم يمنعني من لهو جميل، وألعاب لم أحتفظ بها. يعاني المولود البكر من ضغوط هائلة، وتزداد هذه الضغوط عندما يكون هذا المولود بنتاً، وقد جمعتُ الأمرين معاً، ولا أدري أَكنتُ سأختار أن أكون بكراً –فيما لو تُركَت لي حرية الاختيار– لكن ما أنا متأكدة منه أن ترتيب ولادتي، وطبيعة الحياة التي عشتها، والبيت الذي نشأتُ فيه قد شكّلت كلها مجتمعة ما أنا عليه الآن».

تعترف: «لا أنكر أني تضررتُ، وحرمتُ حتى من أن أرتكب أخطاءً صغيرةً فقط لأنني الكبرى، لكن الوضع لم يكن سيئاً طوال الوقت، تمتعت بمزايا أخرى كثيرة. وإن كنتُ تعلمتُ شيئاً فهو أني

سأرحم طفلي البكر، إن أنجبته، ولن أكون مصدراً من مصادر الضغط عليه، سأحاول ذلك جاهدة، وسأُذكِّرُ نفسي كلما ارتكب خطأً بأن أعاتبه دون أن أرهقه بقيود ترتيبه وبأنه قدوة». تبوح بأمنيتها المستحيلة: «أعتقد أني سأتذكر كلما تطلعتُ إليه أمنيتي المستحيلة بأن يكون لي أخ أو أخت أكبر مني ألوذ إليه/ إليها عندما تضطرب حياتي، أو عندما يعتريني قلقٌ ما، وسأحاول ألا تكون لديه الأمنية نفسها».

«بابا لا تمت»

الجُهني الحاصلة على شهادة الماجستير عام 2000 من جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة في تخصص الوسائل التعليمية تنتظر أن ينام والدها حتى تحدق في وجهه، تتأمل ملامحه بحرية تفتقدها عندما يستيقظ ويشرع عينيه: « بابا، كم هو جميل هذا الرجل، وكم أحبه. مذ وعيتُ وأنا أحبه، وأشعر بقربه الحميم. أكرمني هذا الأب، ووفر لي حياة كريمة، وأنا مدينة له بجزء كبير مما أنا عليه».

تدرس الدكتوراه حالياً في كلية البنات بالمدينة، حصلت على جوائز جمة على قصصها وروايتها ونجاحاتها الأكاديمية، ليلى

التي تفتتح يومها بحمل 3 حقائب على كتفها، اثنتان تبتلعان كتب ووسائل المادة التي تدرّسها لطالباتها، والثالثة تحمل كراساتها، ترجع الفضل إلى أبيها في ما وصلت إليه الآن: « لقد وقف دائماً خلف كل ما حققته في حياتي، وكل ما أنجزته، وآمن بي كما لم يفعل أحد. قبَّل جبيني فخراً مرات كثيرة، وقال لي كلمات حنونة عذبة، واستوعب اختلافي، ما وسعه ذلك، وحتى في أشد لحظات خلافنا عتمة، ظل في أعماقه معي ضد نفسه، وحاول بلِينٍ أن يجعلني أفهم وجهة نظره».

أخبرتكم قبل قليل عن طقوسها وهي تترقب أنفاس والدها سعيد وهو نائم، سأدعكم تستمتعون بوصفها: «أتأمله أحياناً وهو نائم غائبٌ في ملكوت لا أعرف ما ينطوي عليه، فأفكر أن حياته لم تكن ليّنة، وأنه يبدو الآن كمحارب قديم يتوق إلى أن يستريح، ولا أستطيع أن أنكر أن هذه الفكرة تقلقني». لماذا ليلى قلقة، تجيب: «يقلقني أن يسير نحو الموت بهدوء، ولفرط ما أنا قلقة كتبتُ له: «بابا لا تمت». أعرف ألا شيء سيحول بينه وبين الموت، لكني أردته أن يعرف أن موته لن يمرَّ عليَّ دون أن يهزني بقوة؛ لأني بفضل تفهمه عشتُ حياة حرة –مقارنة بغيري من النساء– وأخشى أن أفقد كثيراً من حريتي إن غاب».

موسيقى ودفاتر ممزقة

حروفها تهز أكتافها، لا تختلف عن الفتيات اللاتي أطل عليهن راهناً من نافذة شقتي في فورت لودر ديل بفلوريدا وهن عائدات من المدرسة المجاورة، يتحركن بنشوة تعلو ملامحهن، وجوههن ملأى بالمشاريع الصغيرة، أستشرف المستقبل في خطواتهن النزقة، كيف استطاعت السعودية ليلى أن تبني هذه العلاقة الخاصة مع الحرف وتكتب بهذه الجودة، ما القصة؟ تكتب لي وأذان الفجر يرتفع في المدينة المنورة حسب قولها: «فتنتني الكتابة منذ وقت طويل، كنتُ قد بدأت فيه بقراءة الكلمات والاستمتاع بوقعها على الأذن، والبحث عن جرسها والموسيقى التي تنبعث من أصوات متجاورة اتخذت هيئة الحروف. ولم أفكر –ولو للحظة واحدة– وأنا أنقاد لفتنتها أنها ستكون طريقي إلى ذاتي. عرفتُ مبكرة أني سأكتب، لكني لم أدرِ أن الكتابة ستسم حياتي حتى النهاية».

تنهمر: «تراكمت لديَّ دفاتر ملأى بالخربشات، وكنتُ مقتنعة أن ليس في ما أكتبه رائحة أدب عظيم، ولم يزعجني ذلك؛ لأني كنتُ ولا زلت أكتب لنفسي عنها وعمَّا يخلفه مرور الحياة وهي تتغير بلا هوادة من حولي. كنتُ في الخامسة عشرة عندما بدأت الكتابة بانتظام. راعني وقتها أن تكون لديَّ أفكار –ظلت تدب تحت جلدي حتى كتبتها ثم مزقتها– عن حياة تتغير بسرعة مزعجة».

كم استغرقت مرحلة التمزيق؟ سنعيرها أصابعنا، هاتوا لنعد معها ونلمس حرفها أيضاً، تقول: «احتجتُ إلى ثلاثة أعوام من الكتابة فالتمزيق فالندم، قبل أن أعي أنني عندما أمزق أوراقي فإنما أمزق جزءاً من حياتي، قد لا أتذكره فيما بعد بوضوح، فأقلعت عن عادتي تلك. ظللتُ أكتب كما لو كانتِ الكتابة طريقتي في الحياة، وعليَّ أن أعترف الآن أن الكتابة –من بين أشياء أخرى قليلة– قد ساعدتني على أن أتوازن وأنا أسير على حبل الحياة الرقيق، وساعدتني أكثر على أن أفهم ما يحلُّ بروحي وهي تنتقل من ألمٍ إلى ألمٍ».

زاوية يسرى

ساهمت جريدة «الرياضية» التي تصدر من الشركة السعودية للأبحاث والنشر في ولع ليلى بالنشر، رغم أن المتعارف عليه أن المطبوعات التي تعنى بالرياضة لا تسحر الفتيات، كيف جذبتها؟ هل بسبب عدم وجود بدائل آنذاك؟ تبيّن: «لا يكمن الأمر في عدم وجود البدائل. اعتاد أخي خالد ابتياع «الرياضية» بانتظام، ولفتت نظري فيها صفحة ثقافة التي كان يشرف عليها آنذاك الأستاذ محمود تراوري. لا أتذكر اللحظة التي قررت فيها أن أرسل للصفحة بعض ما لدي. أردتُ أن أرى ما إذا كان في ما أكتبه ما يستحق أن يُمنح مساحة على تلك الصفحة».

ماذا عن تجاربها السابقة مع النشر؟ «كنتُ قبل ذلك قد نشرتُ في المسائية وراسلتُ «اليمامة» و«عكاظ» و«المدينة» ولقيتُ احتفاءً في كل مرة، وقد أفرحني أن تحتفي بي صفحة ثقافة، وأن يغامر محررها بالمراهنة على حرفي، في وقت لم يُنشَر لي فيها سوى ثلاثة نصوص أو أكثر بقليل».

هل تذكر الأستاذة الجامعية تاريخ رسالتها الأولى لصفحة ثقافة «الرياضية» وفي أي عام، وأين نامت مشاركتها في الصفحة؟ تقول: «أتذكر أن ذلك كان في أوائل 1991، فتحتُ الصحيفة ذات مساء فوجدتُ كتابة لي في زاويتها اليسرى، مع تعديلات قليلة أتذكرها الآن وأبتسم. ولم يكن ثَمَّ شعور خاص تجاه نشرها؛ لأنها لم تكن أول ما يُنشر لي، إذ سبقتها نصوص احتفت بها «المسائية» و«اليمامة» و«عكاظ»..». تضيف: «جاء الشعور فيما بعد، عندما غامر الأستاذ محمود تراوري بنشر قصة «وقال وداعاً» على حلقات، شعرتُ وقتها بشعور مخلوط من الدهشة والفرح والقلق. بدا مدهشاً -وسيظل- أن يلقى أول نص طويل أكتبه اهتماماً بهذا القدر، وأن يُكرَّس له ذلك الحيز على مدى سبع حلقات متتالية».

يقلقها الاحتفاء السالف، يجعلها تسير بعينين غائمتين، أصوات عارمة تختلط مع موسيقى في أذنيها، تشرح: «أعترف

بأن ذلك الاحتفاء قد وضعني –وما زال يضعني– في مواجهة مع نفسي، مع الكتابة، مع ما أريده من الكتابة، ولا أدري حتى اللحظة إلى أين ستقودني تلك المواجهة».

ليلى الجهني: أتعرض للظلم(*)

مشهد خرطوم دلة القهوة وهو يدور في المجالس، ينحني ويرتفع بتبذير، يطرح سؤالاً في ذاكرتي: «ألهذه الدرجة نحب المُرّ، نلعقه بسخاء؟».

الكاتبة السعودية ليلى الجهني (مواليد 1970) التي تركض أصابعها على القبور، وتتعذب من قلة الموت، لا تمتلئ بالقهوة العربية التقليدية، لا ترتشفها أبداً، تغمض عينيها وأنفها، عندما تمر رائحتها، وتتساءل أيضاً عن سر تهافت الكل عليها، وارتفاع أيادي الجميع وهبوطها من أجلها. قبل أن تزور صديقاتها تتوسلهن ألا يشعلن النار أسفل إبريق القهوة الساخط، ألا يستعرضوا أمامها الدلة وأطفالها الصغار الذين يتراصون بعناية، ويفتحون أفواههم

(*) نشر في 11 فبراير (شباط) 2005.

الواسعة! ليلى التي تحب رائحة الخشب المبتل وأبناء أختها الثلاثة، تكمل قصتها في الحلقة الثانية من حوارها والذي يتزامن مع صدور روايتها الفردوس اليباب ضمن مشروع كتاب في جريدة الذي تموِّله اليونسكو وينتقي أبرز الأعمال الأدبية العربية لإعادة إصدارها وتوزيعها تكريماً وتقديراً...

الجائزة لم تصل!

حصلت ليلى عام 1991 على المركز الثالث في مسابقة نادي الطائف الأدبي، هل كان فوزها الأول أم سبقته انتصارات عدة؟ تجيب: «أجل، كان ذلك فوزي الأول. أحاول أن أتذكر الآن كيف عرفت بأمر المسابقة، ومتى قررتُ المشاركة فيها، لكني أفشل في ذلك للأسف. لكن ما لن أنساه أني لم أستلم قيمة الجائزة حتى اليوم. إذ أُرسِل شيك بها لم يصلني ولم أراجع النادي بشأنها حتى تاريخه».

أثار حصولها عام 1995 على المركز الثاني في مسابقة أبها الثقافية تساؤلاً كون المركز الأول ظل شاغراً حتى اللحظة؟!، تقول الجُهني: «هذا أمر مرت عليه أعوام كثيرة، كيف عرفت به؟ بعد وقتٍ من حصولي على الجائزة عرفتُ أن رواية «دائماً يبقى الحب»

كانت مرشحة لتحتل المركز الأول، لكن اللجنة تراجعت، لأن النص كان أنضج من أن يكتبه قلم ناشئ، ثم إن اسم ليلى الجهني لم يكن معروفاً في الساحة حينها، وراودت أعضاء اللجنة شكوك بأن يكون هذا الاسم اسماً مستعاراً يختفي وراءه كاتب متمكّن».

كيف كانت ردّة فعلها؟ اقْتَرِبُوا أكثر: «ضحكتُ وأنا أسمع الحكاية، وتساءلت لِمَ لم يخطر لهم أن يطلبوا إثباتاً رسمياً بوجود كائن حقيقي يحمل هذا الاسم، ثم يقرروا بعد ذلك ما إذا كانوا سيحجبون المركز الأول أو يمنحونه لروايتي؟».

قبل مشاركتها في مسابقة الشارقة وحصول روايتها «الفردوس اليباب» على المركز الأول عام 1998، كانت ليلى بصدد نشر الرواية على حلقات في جريدة «الرياض» السعودية، ماذا حدث ولماذا غيرت رأيها؟ تبوح: «عندما أنهيتُ «الفردوس اليباب» جهزت نسخة منها، وبعثتها إلى صحيفة «الرياض». كنتُ أود لو نشرت على حلقات كما حدث مع نصوص طويلة أخرى كتبتها من قبل ونُشرت في «الرياضية». وعندما هاتفت الصحيفة بعد فترة من إرسالها لأسأل عنها، تم تحويلي إلى الأستاذ سعد الحميدين الذي أخبرني بوصولها، واعتذر بلطف عن عدم نشرها لطبيعة ما تطرحه، ولقيود النشر التي لا تخفى على أحد، وقد احترمتُ

مبرراته جداً، وكنتُ على وعي بها حتى قبل أن أبعث النص، أردت أن أحاول؛ لا بأس في أن نحاول حتى لو انتهينا إلى فشل».

تلويحة لعينين

فتاة أقرأ وجهها في حرف ليلى، أسمعها في صوتها، كنت أفتّش عنها منذ انطلاقة الحوار، سأدعكم تتعرفون على «أمنيات» من الإمارات، اجلبوا حزنكم لنفتته هنا، وادعوا بصوت خفيف أن تدوم وليلى: «يا الله، كم عاماً مذ عرفتُ هذه البهية؟ كانت تحرر صفحتين في مجلة «الرياضة والشباب»، وقد راق لي ما كانت تكتبه فخططت لها رسالة صغيرة؛ لم تكن أكثر من تلويحة لعينين عرفت فيما بعد أنهما تريان ما أراه وربما أكثر مما أراه. نَمَتْ على أطراف الفضاء الممتد بين المدينة المنورة والشارقة كلمات كثيرة حملتها الرسائل، وفي كل مرة كنتُ أسألها: لِمَ لم تكن ابنة الجيران أو رفيقة المدرسة؛ لكن لو كانت كذلك أكان سيتغير الوضع كثيراً؟ لا أدري، لكن وجودها عنى لي كثيراً وقتها، ويعني لي أكثر الآن».

ما علاقتها برواية «الفردوس اليباب»: «عندما أنهيتُ كتابة «الفردوس اليباب»، بعثتُ لها بنسخة منها، وكنتُ أفعل ذلك مع كل ما أكتبه. بعد فترة هاتفتني لتقترح عليَّ المشاركة في مسابقة

الشارقة للإبداع. أخبرتني بالشروط والإجراءات، وكل ما هو مطلوب، ثم طلبتْ مني -في حال موافقتي- أن أبعث لها بنسخة مطبوعة على الكمبيوتر».

هل استجابت الكاتبة السعودية الجُهني إلى أمنيات؟ صوت ليلى يرتفع إلى الأعلى يختلط مع أغنية: «فعلتُ، ولن أنسى أبداً الفرح الذي غمر صوتها وهي تهاتفني ذات مساء لتنقل لي خبر فوز «الفردوس اليباب» بالمركز الأول. ولم يكن ذلك كل ما فعلته أمنيات من أجلي».

تتابع طالبة الدكتوراه في كلية التربية للبنات في المدينة المنورة حديثها عن صديقتها الإماراتية: «إذ سهَّلت لي فيما بعد الاتصال بخالد المعالي، صاحب دار الجمل، الذي تحمّس للرواية، ووافق على نشرها. أمنيات نعمة؛ عليَّ أن أقر بذلك؛ وعليّ أن أقر كذلك أن في حياتي نِعَماً كثيرة حلوة أحاول دائماً الحفاظ عليها، ما دمتُ عاجزة عن أشكرها كما يليق بها. ربما غابتْ عن حياتي مباهج كثيرة كنتُ أستحقها، لكن الله لم يحرمني أبداً بهجة الصداقة طوال ما مضى من عمري». تبكي: «ما إن ألتفت حتى أرى وجوه الصديقات مزروعة في دروب حياتي. وجوه قليلة، لكنها دافئة وحميمة، ويمكن الركون إليها وغفران زلاتها. أمنيات تقطن

الآن دبي، ولديها ثلاثة أطفال، وكتاب واحد، وقلب واسع أظن دائماً أني لن أجده موصداً في وجهي ذات مرة».

طفلتان وزهرة

قبل أن نغادر الإمارات، تتلبسني رغبة جامحة لمعرفة تفاصيل رحلة ليلى إلى الشارقة، لا تخذلني، تسترجع الماضي القريب، تهطل بغزارة: «قضيتُ خمسة أيام مع أبي في الشارقة، شاركت خلالها بورقة عمل عن «الأسطورة والأدب» ضمن ورشة العمل المرافقة للجائزة. وقد قوبلتُ بحفاوة من معظم من التقيتهم هناك، وعلى رأسهم الدكتور جابر عصفور، الذي شدَّ على يد والدي، وشكره لأنه ترك لـ «الزهرة» -حسب تعبيره- أن تتفتح دون قيود». الكلمات التي لوّح بها البشر في الشارقة، التي عبّروا عنها كتابة، صوتاً وهمساً كان لها أثر بالغ في إصرار ليلى على المضي قدماً: «سمعتُ كلمات كثيرة مشجعة جميلة، ولعل من أكثر ما حفر فيَّ أثراً عميقاً كان أن يجلب نزيه أيوبه -أحد موظفي دائرة الثقافة والإعلام هناك- طفلتيه ليعرِّفهما بي لأني كما قال «قدوة طيبة» يحب لهما أن تتأسيا بها، لم أستطع حتى أن أشكره وقتها على كلمته تلك، بدا الشكر شيئاً قليلاً إزاء ما قيل».

مكياج ثقيل

الفردوس بعد نحو 7 سنوات من صدورها ما زالت تحظى بالكثير من الاهتمام والتناول والنقد، تقول الروائية السعودية في قلبها: «أتصدقين يا خالدة؟ مرتْ أيام كان الهواء يموت فيها مخنوقاً بين جسدينا الملتحمين عامر وأنا».

وفي صفحة أخرى كتبت ليلى في ذات الرواية: «أجل الأمريكيات اللائي كن يقدن سياراتهن في شوارع جدة منذ زمن بعيد. ربما منذ أكثر من عشرين عاماً. الآن يا خالدة، لا الأمريكيات ولا غير الأمريكيات يحلمن بقيادة سيارة واحدة في شارع خلفي من شوارع جدة». هل كون الرواية اخترقت التابو الديني والسياسي وراء انتشارها الكبير، خاصة أن المتلقي لم يعهد روايات بهذا القدر من الجرأة مكتوبة بأنامل كاتبة سعودية؟ تبيّن: «أكتب دون أن يكون في ذهني استهداف لشيء أو تابو معين. أعترف أني جريئة في كتابتي، لكني لا أتعمد هذه الجرأة أبداً، يحدثُ كثيراً أن أنتبه لجرأة كتابتي بعد تلقي ردود الفعل تجاهها. وبالنسبة لـ «الفردوس اليباب»، فقد كُتِبت بعفوية ولم تكتب بجرأة. على الأقل وأنا أكتبها، لم يكن لديَّ هاجس الجرأة».

توضح: «إن افتعال الجرأة يشبه تماماً تلطيخ وجه طفلة بمكياج ثقيل، ما أن تنظر إليه حتى تشعر بنفور منه، وربما ترغب في مسحه، وللفردوس وجه طفلة، وربما سذاجتها، لكن جرأتها غير مفتعلة أبداً. أتأملها الآن بعد كل هذه الأعوام، ثم أقلب في مسوداتها الأولى، وأتساءل مَنْ مِنا ستلتهم الأخرى؟ مَنْ مِنا ستتجاوز الأخرى إلى ما ينتظرها؟ لا بد أن تفعل إحدانا ذلك، وأتمنى أن أكون أنا من يفعله».

خط أحمر

الكاتب كمال الخطي يرى أن ليلى قد اقتبست من فيلم «روب روي» واستوحت منه المفصل الهيكلي في روايتها. وذلك حينما قال عامر بطل الرواية: «الحب مزبلة يا صبا وأنا ديكها المؤذن»، كيف كانت ردة فعلها عندما نشرت مجلة «المجلة» عنواناً تصدر غلافها يتعلق بسرقتها، ما شعورها ورسالتها إلى الكاتب والمجلة؟ هل هي سعيدة لأن المطبوعات تستغل اسمها للترويج والتسويق لمبيعاتها؟ تجيب الكاتبة الجُهني: «لا أنكر أن العنوان قد ضايقني قليلاً، لكني ابتسمت وأنا أقرأ ما كُتِب في الداخل. من حق مجلة «المجلة» أن تبحث عن الإثارة، لكن الإثارة الرخيصة ستسيء لها لا لي؛ لأني بصدق لم أتضرر مما كُتِبَ، ولم أفكر حتى بنفيه أو الردّ عليه، لقد

ردَّ صاحب المقال على نفسه بنفسه في ثناياه. وليس الجدل واحداً من اهتماماتي». تضيف ليلى في إجابتها: «أذكر أني قُلتُ لأحدهم وقتها إن المجلة تعمدت أن تضع اسمي بخط أحمر على غلافها مع غلاف «الفردوس» لأنها تعرف أن هذا الاسم سيلفت الأنظار وسيزيد من مبيعاتها، وثق أن هذا شيء لا يسعدني ولا يضايقني على حد سواء، شيء أعبره وأمضي لشأني، في حياتي أشياء أهمّ وأجمل».

في مجلة «المجلة» أيضاً يقول الروائي والصحافي السعودي عبده خال في سياق تعليقه على اختيار رواية ليلى الجهني ضمن مشروع كتاب في جريدة: «في تصوري أن اختيار كتاب في جريدة يخضع لعدة مقاييس وربما ثمة أمور ساهمت في اختيار الصوت النسائي السعودي، وهذه الأسباب هي أولاً وضع المرأة داخل السعودية الذي ظل فيه الصوت النسائي مهملاً، السبب الآخر سعي جهات متعددة لتحريك شؤون المرأة داخلياً وإلقاء الضوء على هذا الصوت وتقديم نماذجه». (المجلة، العدد 1296، ديسمبر / كانون الأول 2004)، ألا تظلمها الآراء التي تعتقد أن فوز روايتها في النشر عبر كتاب في جريدة يعد كونها أنثى سعودية وليس نظراً لتميز الرواية فنياً؟ ترد: « أنا أعي مأزقي يا عبد الله، قلت في لقاء نشرته «عكاظ» قبل فترة: «رددتُ كثيراً لأناس أثق بهم

أني أتحسس من كوني امرأة وسعودية، يشعرني هذا بثقل، وبأني سأتعرض لا محالة للظلم إما بالمجاملة أو التجاهل. أعي مأزقي، أعيه جيداً، وأحاول كثيراً أن أتغلب عليه». أحاول أن أتفهم، وأضع الأمور في سياقها الصحيح. وأنا موقنة أن كثيرين يتهامسون بأن هناك أعمالاً أجدر من «الفردوس اليباب» وأحق بأن تُنشر في كتاب في جريدة، وقد عبر بعضهم صراحة عن ذلك».

تبحث ليلى عن آذان صاغية: «أود أن يسمعوني وأنا أقول إني معهم وأشاركهم الرأي، وأود كذلك أن يتفهموا أن ليس عليَّ أن أعتذر لهم عن اختيارٍ لم تكن لي يد فيه، ولم أسعَ له؛ لأني لو وقع الاختيار على أي عمل آخر ما كنتُ سأشعر بشيء سوى فرح لا ضغينة فيه، والذين يعرفون ليلى عن كثب وحدهم سيدركون صدق ما أقوله هنا».

ليلى الجُهني:
محمد عبده
متوافر حد الابتذال!(*)

لم تتذوق أميركا طعم الابتسامة الكاملة إلا في مطلع التسعينات، عندما ظهر مايكل ريتشارد (كريمر) في السلسلة الكوميدية الشهيرة Seinfeld، حضوره في الحلقة بسرواله القصير وقميصه الفضفاض المرقط ومقدمة شعره المهملة والمنتصبة وشخصيته غير العابئة بأي شيء تطبع على الوجوه ابتسامات متساوية. يقول رئيس تحرير أسبوعية Entertainment: «أذكر تماماً عندما جئت إلى مكتبي في أحد أيام خريف 1996، وفتحت رسالة من كوريا الجنوبية على رقبتها مطبوعة صورة يدين تصفقان، وفي أنحائها إعجاب طويل بـ (كريمر)، طلب مني مرسلها أن أنشرها إذا لم أستطع أن أسلمها شخصياً إلى مايكل».

(*) نشر في 13 فبراير (شباط) 2005.

في السعودية تبتسم الكاتبة ليلى في وجه كريمر أيضاً، وتضعه في لائحة الممثلين المفضلين لديها. الجُهني تتصرف ضد مصالحها الشخصية وتحب أن تلمس الأشياء، أن تمر على أهداب القطيفة، وأن تتحسّس حزوز الصخور، وأن تدفن يديها في الرمل الحار، وأن تشعر بالخدر المؤلم بعد إمساك الثلج. في الجزء الثالث سنتعرف عليها أكثر، اربطوا أرواحكم.

هجاء ورواية جديدة

وصفت أميرة كشغري رواية الفردوس اليباب بأنها هجاء للمجتمع وفق مجلة جريدة «الجزيرة» السعودية، العدد 55، أبريل (نيسان) 2004، هل أغضبها هذا الوصف؟ تقول: «لا، أبداً لم أغضب. كتبت الدكتورة أميرة عما رأته في الرواية، وهي -فيما أعتقد- رؤية تعلي من قيمة الرواية، إذ تشير إلى أنها لم تهادن إحدى فضائلنا السائدة وهي: (الحشمة أمام المصائب الخاصة) كما يقول جابرييل غارسيا ماركيز».

روايتها الثانية، مشروع طال انتظاره، متى سيرى النور يا ترى؟ تجيب الروائية السعودية الجُهني: «عندما ينتهي سأطرحه، لستُ مستعجلة، ولن يعنيني ما سيُفَوته عليَّ التأخير، في مقابل ما

سيجلبه عليَّ الاستعجال، والرغبة في الوقوف تحت الضوء دون أن تكون الأرض من تحتي ثابتة، كما أن المتلقي الذي يستعجلني الآن سيكون أول من يرجمني بحجر إن لم أقدم له ما يستحق». شعور يتخللها يشبه طفل يحمل سكيناً حادة خلف ظهره، تفسره: «حتى أكون صادقة فسأقول لك إن دراستي تستأثر بمعظم اهتمامي حالياً؛ لأن شعوراً مُمِضاً بأني سأحيا حياتي وحيدة ينتابني أحياناً، ولا أريد أن أجد نفسي ذات يوم وحيدة ومنكسرة فقط، لأني تبعت بريق الكتابة وأهملت الاستعداد لمواجهة ما ستحمله لي الأيام. أريد أن أحمي وحدتي، وأعتقد أنّ ليس من حق أحد أن يلومني على ذلك».

«لا يوجد ما يخزيني!»

قرأتُ نصاً رفع أصابعه أمامي في موقع «جسد الثقافة» الإلكتروني باسم «ليانا»، كان يتحدث عن الموت والعذاب، ومكملاً لنص نشر في نفس المكان تحت اسمها الصريح، هل هي «ليانا»؟ دعونا ننادي الإجابة، ترد ليلى: «نعم، أقولها بسعادة واعتزاز. مررتُ بجسد الثقافة كثيراً، وقد راق لي المكان، لكني تحاشيتُ أن أسجل فيه باسمي الصريح؛ لأني توجستُ أن كثيرين سيتعاملون مع الاسم، ولن يمنحوا أنفسهم فرصة للتعرف على الكائن الكامن خلف الاسم. أردتُ أن أقدم الإنسان في أعماقي، وتصرفتُ في

الجسد كما أتصرف في حياتي اليومية». ماذا كشف لها اسمها المستعار؟: «عندما أتأمل ما فعلته أشعر بسعادة، لأن تسجيلي بهذا الـ (يوزر) كشف لي جانباً جميلاً من نفسي، وهو أني لا أستطيع أن أكون غير ما أنا عليه في الواقع. وفي آخر الأمر فإني لم أجند (يوزري) لتمجيد كتاباتي أو الدفاع عنها كما فعل ويفعل بعضهم. أعتز بتجربة «ليانا» جداً، إذ ليس في ما كتبته أو ساهمت به في المنتدى ما يخزيني أن يطلع عليه أحد الآن أو غداً».

دكتورة منتظرة

«خلوت من كل رغبة في أن أنجب طفلاً؛ ليس لأني يائسة، بل لأنني أعتقد أنني أحبه أكثر من أستسلم لرغبتي في إنجابه، وأنا أعرف ما ينتظره». مقطع ورد في أحد نصوصك، هل هذا هو إحساسك فعلاً؟ تطير: «أستحضر عبارة قرأتها منذ أعوام كتبتها سوزانا تامارو في: «اتبعي قلبك»، تصف فيها «إيلاريا» -إحدى شخصيات الرواية- «كانت فوق الثلاثين، وفي ذلك العمر يمكن أن تقع النساء اللواتي ليس لديهن أطفال تحت هواجس غريبة، يُردن طفلاً بأي ثمن، كيف؟ ومع من؟ ليس مهماً». الآن، وأنا أجيب عن سؤالك، أدرك أني لن أقع تحت هاجس الرغبة في إنجاب طفل فقط لمجرد إنجابه، لن أرتكب هذه الحماقة بحقه. وإن كنتُ خلوت

من كل رغبة في إنجابه، فإن ذلك لا يحول بيني وبين أن أستعيد تلك الرغبة. لنقل إذاً إني لا أفكر في الموضوع حالياً».

الكثير لا يعلمون أنها دكتورة منتظرة، ما تخصصها؟ ما همومها البحثية؟ وما هو حلمها بعد الشهادة؟ تفيد أستاذة الوسائل التعليمية في كلية البنات بالمدينة المنورة: «أحضّر حالياً لنيل درجة الدكتوراه في التربية، تخصص: تقنيات التعليم. والهموم شاسعة وغير قابلة للحصر هنا، من بينها: الروتين، والرتابة، وشحّ المراجع، والسرية التي تُحاط بها المعلومات مهما بدت تافهة، وأمور أخرى كثيرة لا تخفاك فيما أعتقد». تغطي أحلامها برفق، تبرر: «أما أحلامي فإني أحب أن أحققها أولاً، ثم أتحدث عنها، لا أدري، لكني أجد الأمر أجمل هكذا، وإن كان لي أن أصفها فسأقول إنها أحلام واسعة وغير مؤذية».

هل ترى ليلى أنها مختلفة، عندما تتأملها في المرآة؟ تبتسم: «أعي جيداً أني مختلفة. لا يعني ذلك أنني أفضل أو أسوأ، بل مختلفة وحسب. أحياناً عندما أتأمل وجهي في المرآة، أتأمل وجه امرأة يرهقها الوعي الزائد بذاتها -كما تصف أهداف سويف- امرأة تفتقد اليقين بجدوى أشياء كثيرة، وتصطخب في رأسها أفكار صغيرة غير مغفور لها، وتُمِضُّها رغبتها في أن تأتي الأشياء التي تحبها كما تريد ولو لمرة واحدة فقط».

مصالح شخصية

يقول برنارد شو: «تعرف بأنك عاشق عندما تبدأ بالتصرف ضد مصلحتك الشخصية». هل تتصرف الكاتبة السعودية فعلاً ضد مصالحها الشخصية، لماذا أدوِّر على الإجابة، هل هي عاشقة؟

ثَمَّ كائن في أعماقي يريد أن يغني، ربما لا يملك صوتاً جميلاً، لكنه يريد مع ذلك أن يغني، وقد وعدني بألا يزعج أحداً، ومثل هذا الغناء لا يسمعه –عادةً– إلا بشرٌ قليلون، بينهم واحد فقط يستحق أن أتصرف ضد مصالحي الشخصية من أجله». وتردد على مسامعه ما قالته جمانة حداد: «العاشقة لا يفتك بها الانتظار، لا تقدر أن تخاف، وإن كانت تجهل بقية الحكاية. فالحكاية أنت، والبقية حتماً ستأتي. هي تحزن لأنك لم تقفز من عينيها بعد، لم تنزل في يديها، لم تدهشك شعوبها. هي تحزن من أجلكَ، لأنك لا تعلم كم سوف يكون لك قمرٌ على ثغرها، وذهبٌ على خدها، وامرأة جديدة في كل ركن من أرضها».

غير مؤهلة

هل فعلاً دور النشر العربية تتعلم الحلاقة على رؤوس الأيتام كما قال الروائي السعودي عبده خال في لقاء ماضٍ؟، أيضاً نجد الإصدارات العربية خالية من إحساس الكاتب، هل حقاً يمتصون مشاعر المؤلف ولا يمنحونه المال ولا حتى المشاركة في الغلاف والإخراج الفني؟

تحرك نظارتها ببطء، تتدفق: «تجربتي الوحيدة في النشر لا تؤهلني لاتخاذ موقف معين، نشرت دار الجمل «الفردوس اليباب» دون أن تضطرني لدفع أي مبلغ، وفي المقابل لم يكن هناك أي عقد ببنود محددة بيني وبين الدار، كما لم يتم الاتفاق على حصولي على نسبة من أرباح البيع، كل ما حصلت عليه هو عدد من النسخ من الرواية وقد نفدت سريعاً». تردف: «ولا أدري عما يحصل من قِبل دور النشر الأخرى؛ لكن المسؤولية لا تقع على عاتق دور النشر وحدها، المناخ العام كله مناخ يتسم بهدر الحقوق على كل المستويات، فكيف ننتظر من دور النشر أن تحترم حقوق المؤلف أو أن تُشركه –على الأقل– في اختيار غلاف كتابه، أو تنسيق محتوياته؟».

كآبة وإغراق

لا تحب أم كلثوم، محمد عبده، تبرر: «أحترم تجربة كل منهما، لكنهما لا يطربانني، ولا يعني ذلك أنهما سيئان وأني جيدة، أو العكس، المسألة في النهاية مسألة ذائقة، وذائقتي لا تتواءم مع هذين الصوتين وأصوات أخرى كثيرة غيرهما». تسهب: «أغنيات أم كلثوم مثلاً تشعرني بالكآبة، وأحس كأنما جدران المكان الذي يعلو فيه صوتها ستطبق على روحي عما قليل، أما محمد عبده فمتوافر لحد الابتذال –وأعتذر إن بدت كلمتي سيئة لمحبيه– ومنذ صغري كان محمد عبده ذوقاً مفروضاً علي احتماله، وعندما كبرتُ صار بإمكاني أن ألوذ إلى فضاءات أخرى تروق لي، وليس مهماً أن تعجب الآخرين، وعموماً أجدني أبحث دائماً عن الكلمة واللحن غير المبتذلين، ولا يخلو البحث من متعة الوقوع على أصوات جميلة تستحق الانحياز لها».

قائمتها المفضلة

تحب منصور ابن أختها، الروائية اللبنانية حنان الشيخ، الممثل الكوميدي الأميركي مايكل ريتشارد (كريمر)، والأكل الصيني، ماذا أيضاً؟ تنطلق: «أشياء وأناس كثيرون، أحب البحر

في الصباح، أول الصباح. أحب أن أسير بحذاء أمواجه المتلاطمة، وأن أفكر أني لم أكن سيئة أبداً، ربما كان بعض حياتي سيئاً، لكني لست سيئة. أحب الموسيقى في كل وقت ومكان. أحب أن أضع سماعاتي في أذني وأفعل كل ما يعن ببالي، آكل، أشرب، أغسل، أكتب، أقف أمام واجهة متجر، أجلس في المقعد الخلفي لسيارة تحملني إلى مكان ما، أو ممددة في آخر الليل على سريري أعد خساراتي، وأحاول أن أقنعني أنها: هيّنة ويمكن تعويضها».

نشطة أصابعها: «أحب أن ألمس الأشياء، أن أمر على أهداب القطيفة، وأن أتحسس حزوز الصخور، وأن أدفن يدي في الرمل الحار، وأن أشعر بالخدر المؤلم بعد إمساك الثلج، وأن أتتبع خشونة جذوع الأشجار الكبيرة، وبرودة معدن السيارات في أول الصبح، وأن أستند إلى جدار ما فأشعر بصلابته خلفي، وأفكر أني رغم صلابتي أحلم بمن استند إليه وأشعر بصلابته خلفي، فأغمض عيني وأهدأ».

تتأمل الكاتبة السعودية ليلى الجهني السماء باهتمام وتستهويها التفاصيل التي تزورها: «أحب الأيام النيئة، عندما يكون نصفها غائماً، ونصفها الآخر صحواً، وأن أقف تحت مطر الله بلا سواتر تحول بيني وبينه، وأن تبزغ الشمس بهدوء بعد مطر

غزير، وأن تتكاثف أنفاسي في الشتاء على زجاج النافذة، فأحولها إلى كائنات خرافية تجف عما قليل دون ذنب أو مغفرة، وأحلم لو جففتُ مثلها بلا ذنب أو مغفرة».

هل تأسركم روائح الأمكنة؟ رددوا حكاياتكم معها أثناء إنصاتكم إلى ليلى: «أحب رائحة الخشب المبتل، ورائحة الأمكنة المطلية حديثاً، وعبق شجرة الليمون، وروائح محطات الوقود على الطرقات بين المدن، ورائحة جدتي رحمها الله، ورائحة أطفال أختي الثلاثة، ورائحة الحقائب الجلدية المنسية في عتمة دولابي، ورائحة أوراق الصحف، ورائحة المدينة عندما أغيب عنها، ثم أعود فتستقبلني وأشعر كما لو كنتُ تحت مطر».

قبل قليل كنت أراقب وجه أستاذتي، تسافر عيني مع حركة يديها وساعتها الواسعة التي تصدر أصواتاً مربكة، لا تشبه الأغنية التي ترددها أستاذة الوسائل التعليمية في كلية البنات بالمدينة المنورة: «أحب أن أتأمل وجوه الناس على غفلة منهم، أراقب الطريقة التي يبتسمون بها، وتلك التي يقطبون بها، وأن يرفع أحدهم حاجباً واحداً، وأن يبتسموا حتى لو لم يكونوا يعرفونني، وأن ينهمكوا في شيء ما، يا إلهي كم أحب أن أراقب وجهاً منهمكاً في شيء ما، أتساءل حينها كيف يكون وجهي؟ وكيف يراه الآخرون؟».

تتمنى ليلى: «أحب أن أعود أحياناً إلى صوري وكتاباتي القديمة، وأشعر بذلك الأسى الخفيف الذي يخلفه إدراكي بأنني أتغير، ليس بصورة مفزعة، لكن بصورة مطّردة وأحياناً مضطربة. أتأملني وأتساءل لو مزقت الصور والأوراق فهل سيذكرني أحد إن مت؟».

وجع أخير

كيف تخمد الروائية السعودية وجعها؟، تقول: «الصمت، والكتابة، وأحياناً –عندما يكون ذلك متاحاً– السير وحيدة بإزاء البحر صباحاً، أو في ممرات تغطيها أوراق الأشجار المتساقطة، يشعرني صوت الأوراق وهي تتهشم تحت وقع خطواتي بهشاشة الحزن، وبأن الأشياء مهما اضطربت فستعاود سيرتها الأولى عما قليل، وعليَّ فقط أن أحتمل».

حاول والده أن يجعله «نخلة معممة»

محمد العلي: لا أرى ضيراً في التقبيل(*)

يشبه الشاعر محمد عبد الله العلي جبل «قارة» في الأحساء، لكنه أقصر قامةً، وأدق أنفاً. ولد عام 1932، في قرية العمران بالأحساء. والده كان فلاحاً محافظاً أرسله إلى النجف في العراق وعمره لم يتجاوز عشر سنوات «تقرباً إلى الله» على حد وصفه. التحق بحلقات الحوزة في مدارس النجف في سن مبكرة. درس الفقه بتوسع لكنه لم يشعر بجاذبية نحوه، يبرر: «لا أصلح أن أكون نخلة معممة». تمرد وأقلع عن الدراسة الدينية، ميمماً وجهه شطر الدراسة التقليدية، ومضحياً بالمنحة الشهرية والدعم المالي الذي يصله من والده.

(*) نشر في 23 أبريل (نيسان) 2009.

عاد عام 1963 إلى المملكة بعد أن سئم الحياة السياسية المضطربة في العراق. بدا كقشة تتقاذفها الأمواج. أناخ مراكبه في الدمام مفتشاً تربوياً في إدارة تعليم البنين. يقول: «وجدتني هنا أتجرع الرطوبة دون سابق إنذار». ظل تائهاً في الدمام، غريباً، لا يتصل بأحد ولا يعرف أحداً. كانت القصيدة هي النافذة التي يطل عبرها على الحياة. كانت كالمغذي الذي يتغلغل في شرايينه ويعيد البهجة لأطرافه.

ظل يبحث عن وطن لقصائده دون جدوى حتى سقطت عيناه على صحيفة أسبوعية تصدر من الدمام باسم «اليوم». بعث إحدى قصائده إلى عنوانها المدون على صدر الصفحة الأولى. استقبلته الصحيفة بصدر رحب، حيث نشرت أبياته في العدد اللاحق مذيلة بكلمة موجزة للمشرف على تحريرها آنذاك، المناضل الفلسطيني ماجد أبو شرار، قال فيها: «إلى شاعرها... أرجو أن تتصل بنا». وحينما ذهب محمد إلى مكتب أبو شرار استقبله استقبال الفاتحين مهللاً وجائعاً: «أينك؟». وطلب منه، حينئذ، أن يتعاون مع الصحيفة، وأن ينتظم بإرسال قصائده. وبالفعل استمر العلي شاعراً في «اليوم» لعدة سنوات حتى سئل أن يكتب مقالة أسبوعية للصحيفة بعنوان «أمام المرآة».

لم يكتشف محمد أثر مقالاته وشعره إلا متأخراً بعد أن تهافتت عليه الصحف السعودية لاستكتابه. يقول: «طبيعتي الانطوائية حالت دون أن ألمس ردود الفعل المباشرة تجاه ما أكتب».

أول رئيس تحرير شيعي

في عام 1978 اقترح محمد العجيان رئيس تحرير صحيفة «اليوم»، وقتئذ، على مجلس الإدارة أن يخلفه محمد العلي في إدارة الصحيفة بعد أن قرر أن يغادر الدمام. لم يتردد مجلس الإدارة في الموافقة على ترشيحه. أعير العلي حينها إلى وزارة الإعلام لمدة عامين.

يصف تلك المرحلة: «كان سقف الحرية منخفضاً جداً. لا نوافذ سياسية أو اجتماعية»، ما جعله يتنفس عبر الثقافة. شرع أبواب صحيفته للمواهب الشابة. استقبل (المربد)، ملحق صحيفة «اليوم» الثقافي، في عهده، أسماءً غضة أثبتت ريادتها وتميزها بسرعة كعلي الدميني، وصالح العزاز (رحمه الله). يتذكر: «كان المربد مركباً من موسيقى يقوده بشاعرية الربان علي الدميني». وساهمت شجاعة الصفحات الثقافية ونزقها، آنذاك، في ذيوع اسم «اليوم» إقليمياً وعربياً، بعد أن كان اسمها لا يتجاوز أسوار

الدمام. لكن الشعر الذي قذف العلي إلى عنان السماء كاد أن يسقطه على رأسه ويصرعه حينما نشرت صحيفته قصيدة باسم اللبناني حميد غريافي بعنوان «السفور»، دعا فيها إلى تمزيق الحجاب، إذ سهر الخلق جراها واختصموا. ويروي العلي الحادثة، وهو يرتشف شاياً قدمه له ابنه المهندس عبد الهادي في منزله بالمزروعية بالدمام: «لم أجز القصيدة، الغريافي كان مخرجاً فنياً في الصحيفة، نشرها وهرب».

واكتشف لاحقاً أن الغريافي سرقها من الشاعر العراقي محمد بسيم الذويب.

وقد أحيل العلي إثرها للتحقيق لكن استمر في منصبه لأكثر من عام.

ونفى محمد أن يكون مذهبه الشيعي وراء خلعه من رئاسة التحرير: «كوني شيعياً، لم تكن له علاقة برئاستي للتحرير ولا إعفائي منها». ويؤكد العلي، وهو يبتسم، أن سبب إقالته «غير صالح للنشر».

ومنذ أن خلفه عثمان العمير في رئاسة التحرير لم يدخل مبنى الصحيفة الدمامية، ويعزو ذلك إلى «أسباب نفسية». فقد

وجهت له دعوات عديدة لزيارة الصحيفة في مبناها العتيق والآخر الحديث، الذي يقع على طريق الدمام - الخبر السريع، بيد أنه لم يلبِّ الدعوة.

«قبلة» خديجة ناجع

في المقابل، لم يتردد العلي في تلبية دعوة الأندية الأدبية والملتقيات والصوالين الثقافية، التي دأبت على تكريمه، مؤخراً، جراء إنتاجه الشعري والفكري. وحينما سألته عن «قبلة» الشاعرة خديجة ناجع، رئيسة اللجنة النسوية في أدبي جازان، التي طبعتها على رأسه، علق بعد أن ابتلعت ملامحه ابتسامة عريضة قائلاً: «لم أتوقع أن يأخذ هذا الموضوع كل هذا الزخم». ويؤكد العلي أن كل ما حدث أن النادي الأدبي بجازان أراد أن يكرم هذه الشاعرة على نشاطها وحماستها وجهدها، واقترحوا أن يكون هو من يسلمها الهدية، نيابة عن أسرة النادي. يقول: «فوجئت حينما سلمتها هديتها أنها أمسكت رأسي وقبلته، ما جعلني أبادلها قبلة الرأس بقبلة مماثلة على رأسها».

وأشار العلي إلى أن كل الانتقادات التي وُجهت إلى ناجع لن تدعه ينصرف عن تسليم رأسه للسيدات لتقبيله. يعترف: «اعتادت

النساء في قريتي العمران، من غير محارمي، أن يقبلن رأسي وكل كبار السن عند ذهابنا وإيابنا. لا أرى أنني أو خديجة ارتكبنا ذنباً يستدعي كل هذه الضجة».

نداء أبو علي تدخن الأرجيلة وتسمع التكنو(*)

لا تدع الروائية السعودية نداء أبوعلي (مواليد 1983) تشاهدك. تبرر ابنة جلدتها المقيمة في أميركا، سهير الخليل: «إنها لا تهدر أي وجه يمر عليها، خشيتُ لقاءها في الواقع حتى لا تستعرضني في إحدى رواياتها المقبلة». استطاعت نداء رغم صغر سنها نقل الكثير من الوجوه السعودية المنقبة والقابعة خلف الأبواب إلى رفوف المكتبات عبر 3 روايات جديرة بالتصفح والتأمل والحوار.

جريمة مبكرة

نشرت نداء أول رواية لها في سن الخامسة عشرة، وكتبتها قبل ذلك بعام، أما فكرة الكتابة فهطلت عليها في سن العاشرة،

(*) نشر في 12 أبريل (نيسان) 2006.

تقول إنها لا تزال تحتفظ بأول محاولات ناشئة للكتابة وتعتز بها على الرغم من حرصها على إخفائها عمن حولها. تعزو الكتابة المبكرة إلى رغبتها في عالم خيالي منذ الطفولة والابتعاد عن العالم الواقعي. منذ الطفولة والابتعاد عن العالم الواقعي.

تدين بالفضل في انحيازها للكتابة إلى والدتها المصرفية، منى المشهدي، تقول نداء إن والدتها شجعتها رغم أن القراءة والكتابة لا تفتنها «شجعت خربشاتي منذ صغري، وحاولت البحث فيها وعرضها على مختصين لتربي هذه الموهبة في نظرها والجنون والانطواء في نظري». تضيف: «لا أحد يستطيع إخفاء جرائم والدتي التي أقدرها في نشر روايتي الأولى التي حققت لي حلماً لم أتصور أن يتحقق، ولن تستطيع أية فتاة في هذه المرحلة العمرية تنفيذه إلا بمساندة أسرتها وتعاضدها». ولا تغفل نداء أثر غياب والدها في نمو موهبتها الكتابية، تقول: «والدي ابتعد عن عالمي منذ العاشرة من عمري، فعشت مع والدتي وإخوتي حياة تسودها تربية أم قوية حنون».

تعترف: «كان ابتعادي عنه نقلة نوعية في حياتي دفعتني إلى البوح للدفاتر والنزف كتابةً، حتى أصبحت الكتابة عالماً خاصاً أقدّسه وأحاول احتلاله، أنا أعلم أنه تابع وسمع عن بعد، لكنه لا يعبر عن ذلك».

أرجعت نداء عملها في جريدة «الحياة» إلى ضرورة التحاقها بوظيفة، فكتابة الرواية غير كافية، تقول: «لا بد للكاتب أن يخضع لوظيفة ما، فكتابة الرواية لا تعدّ وظيفة بل هدفاً أو محاولة إيصال رسالة، وعملي في صحيفة «الحياة» يتناغم مع ميولي الكتابية لأنه لا يزال يندرج تحت الكتابة».

وقد تخرجت نداء قبل تسعة أشهر من قسم نظم المعلومات الإدارية، ورفضت أية وظيفة ترتبط باختصاصها الجامعي: «لأنني أذعنت في نهاية المطاف للعمل في مجال أعشقه، حتى لا أشعر بأن هناك وظيفة تفرض علي روتينها وسلطتها القسرية». لا تخشى أن تختطفها الصحافة من ارتكاب الرواية، تذكر: «إن لم تخطفني الصحافة خطفني العمل في مكتب لدوامين يدفن قدرتي أو محاولاتي للبوح والنزف والكتابة أو حتى التعبير عن فكرة أو قضية، وهذا كابوس حاولت الهروب منه». وتعتقد نداء أن الصحافة تعطي مرونة أكثر للكتابة وارتباطاً أكبر بها، وتساعد على معايشة الواقع بعيداً عن «البرج العاجي» الذي يقطنه بعض الروائيين. وتؤكد الروائية الشابة أن الإصرار يدفع المرء دائماً لتحقيق ما يريد، والمزاجية والإلهام يرتبطان بالصحافة كذلك وليس فقط الكتابة الأدبية.

ولا يضايق نداء أيضاً سهولة الانخراط في العمل الصحافي، تقول: «أي عمل قد يبدو سهلاً في الظاهر، لكن الاستمرارية والتميز أهم ما يثبت جدارة الصحافي أو الطبيب أو الروائي». وتفضل إتاحة الفرصة للجميع لإثبات قدراتهم الكتابية في أي مجال، فذلك أفضل من المنع والتحديد، وتشير إلى أن الأفضل هو الذي سيبقى على الساحة ويصعد الدرج.

عالم الحريم

لماذا لم تنجح رواية نداء الأخيرة «مزامير من ورق» مقارنة بشقيقتها «بنات الرياض»؟ سؤال خطفته من فم أصابعي. تقول إن هناك العديد من الروايات لكتّاب معروفين لهم من الخبرة ما يفوق خبرتها بكثير ولم تصل شهرة مؤلفاتهم ما وصلت إليه رواية «بنات الرياض». وأشارت إلى أن «هناك روائيين آخرين تجاوزتهم بروايتي إعلامياً». واعتبرت كلمة «لم تنجح» غير صائبة في حق روايتها الأخيرة، تقول: «فأنا أعدّ لطبعة ثانية لروايتي.. وكان هناك إقبال نوعي على الرواية».

وعزت الإقبال الهائل على «بنات الرياض» للكاتبة الشابة السعودية، رجاء الصانع إلى «فكرة الرواية وتحدثها عن المستور،

عن عالم الحريم المخبوء، الذي دفع عدداً هائلاً من القرّاء للبحث عن كتابها الذي لم يستهدف فئة معينة من الناس وإنما الجميع.. أضف إلى ذلك العنوان والتسويق والتوفيق!». وأكدت نداء سعادتها لأن «بنات الرياض» لاقت كل هذا الإقبال وتمنت تكرار ذلك مع عدد أكبر من الكاتبات في هذا العمر.

ولم تخف نداء دورها ورجاء في تشجيع السعوديات الشابات لاقتراف الكتابة إثر التقدير الذي حظيا به، تقول نداء إنها صادفت كثيرات ممن يخططن للدخول إلى عالم النشر من بينهن شابتان في مرحلتها العمرية وقد نشرتا روايتيهما، لكنَّ روايتيهما «مهمشتان» على حد تعبيرها، لكنها واثقة من أن هناك عدداً كبيراً من «المهمشات» اللاتي لم ينلن الدعم والتوجيه، وتأمل أن يحظين بذلك نحو أعمال أكثر جودة.

ورحبت نداء بالنقد الذي وجهه لها الكاتب علي الشدوي حول روايتها «مزامير من ورق»، عندما قال: «هناك روائيات جديدات وروائيون جدد ولكن ليست هناك موضوعات جديدة»، وأردف «ليس في رواية مزامير من ورق موضوع جديد، هناك قلق واضح عند الكاتبة وارتباك، وما طرحته الكاتبة من مضامين هو نفس ما طرحته سميرة بنت الجزيرة قبل أربعين عاماً». حيث اختصرت

أبوعلي انطباعها حول نقد الشدوي قائلة: «أحترم كل الآراء خصوصاً المستفزة منها».

وتميل نداء للأعمال الروائية التي كتبها روائيون سعوديون، لأنها «تحمل جرأة أكبر». وتمنت «لو قابلت الروائي العظيم عبد الرحمن منيف رحمه الله»، الذي دفعها إلى نشر رواياتها في ذات دور النشر التي نشر فيها أعماله».

وعبرت عن تقديرها للكاتب السعودي تركي الحمد أيضاً. كما تعتز بالطريقة الحضارية التي تجاوب بها السعودي عبده خال مع استشارتها له في روايتها الأخيرة. وتود نداء مقابلة الروائية السعودية رجاء عالم؛ لأن أحد الصحافيين سألها عندما كانت في السابعة عشرة إذا كانت تقرأ لها، فأخبرته أنها لا تعرفها ولا تقرأ للكاتبات السعوديات، فنشر ذلك كعنوان عريض في إحدى الصحف، ما دفعها إلى إدراك قيمة رجاء عالم الأدبية وبحثها في رواياتها التي «حاولتُ أن أفهمها ولا أزال أحاول».

الزواج و «التكنو»!

ورفضت نداء أن يقرأ أحد منتجها قبل النشر، تقول: «أنا نفسي لا أقرؤه حتى لا أنتقده وأرفض نشره! أؤمن بأن علي المقامرة

والنشر قبل التراجع وجلد الذات أو حتى إتاحة الفرصة للغير لجلدي وإحباطي!». وتفضل الكتابة في ضوء باهت، «لأداري جريمتي ولتعكس الظلال أشكالاً مختلفة تساعد على إلهامي، أفضل الكتابة باسترخاء وأنا أكتب بالقلم الأحمر النازف، وفي الساعات الأخيرة من الليل، لكن ذلك لا يمنع من الكتابة في السيارة أو في قاعة الانتظار في المستشفى أو حتى في المكتب». وتصغي إلى أم كلثوم، تستمع إليها منذ الرابعة عشرة، وكذلك محمد عبده، وفيروز، حسب الذائقة الفكرية والغيمة الشعورية التي تحاصرها في تلك الساعة.. بالإضافة إلى موسيقى «نيو آيج» و«الجاز» و«التشيل أوت» بالإضافة إلى «التكنو».

لماذا لم تتزوج العديد من الكاتبات والأديبات، كليلى الجهني وإيمان القويفلي وحليمة مظفر؟ هل يخشين استبداد الذكور؟ وكيف ترى نداء الزواج من وجهة نظرها؟ تجيب: «لأن إيجاد رجل يحترم المثقفة ويغوص في أفكارها ليشاركها إياها في الوقت الذي يؤازرها فيه دون غيرة أو خشية أن تتفوق عليه وجعلها قرينته وليس فقط تقبل فكرة زمالتها له أمر نادر». تقول: «كثيراً ما نلاحظ مثقفين يتزوجون من نساء تقليديات، ذلك ما يسود حضاراتنا خاصة العربية منها غير القائمة على المساواة، بسبب تقاليدنا المترفة في تقديس وتضخيم الرجل والبحث عن وسائل عبودية المرأة وكيفية خضوعها».

وتؤكد نداء أنها تعيش الآن «مرحلة خطوبة عشقية، مما يظهر رؤيتي للزواج وإيماني بنجاحه إن كان قائماً على الحب والاحترام والتقارب الفكري».

وامتدحت أبوعلي ديوانَي الشعر اللذين طرحتهما الشاعرتان السعوديتان نعمة نواب وعبير زكي باللغة الإنكليزية، مشيرة إلى أنها «خطوة رائعة، لا بد من أن تتخذها كل من لها ميول للكتابة باللغة الإنكليزية تفوق اهتمامها بالكتابة باللغة العربية، حتى نتمكن من إيصال جزء من أصواتنا، وهو أمر طبيعي يأتي نتيجة مواكبتنا إناثاً وذكوراً للعالم الغربي وتثقفنا بثقافتهم السائدة، ويدفعني إلى التفاؤل بوجود قناة جديدة من التواصل مع العالم الخارجي يبعدنا عن العزلة التامة».

أفلام وأرجيلة!

وتشاهد الأفلام يومياً، لكن الفيلم الذي لا يزال عالقاً في ذاكرتها وتشاهده مراراً هو فيلم: «ايترنال سن شاين أوف سبوتليس مايند». للنجمين جيم كاري وكايت وينسلت، وهو فيلم يثير السخرية والدهشة العشقية. وتقرأ الآن عدة روايات في نفس الوقت، منها رواية «فسوق» لعبده خال، و«الحب في منطقة الظل»

في ذاكرتها وتشاهده مراراً هو فيلم: «ايترنال سن شاين أوف سبوتليس مايند». للنجمين جيم كاري وكايت وينسلت، وهو فيلم يثير السخرية والدهشة العشقية. وتقرأ الآن عدة روايات في نفس الوقت، منها رواية «فسوق» لعبده خال، و«الحب في منطقة الظل» لعزمي بشارة، و«مئة عام من العزلة» لماركيز، وكذلك إحدى منشورات «ميكي جيب» حين تشعر بالملل. تقول: «لهذا السبب لا أنتهي من قراءة أية رواية إلا بعد زمن طويل. وتطرد الحزن من محيطها بـ «تدخين الأرجيلة والكتابة». وتطمع نداء المولودة في 21 أغسطس (آب)، عام 1983 في «ويسكونسن» بأميركا، في الحصول على «درجة الدكتوراه في مجال إعلامي أو في العلوم السياسية».

من إصدارات مدارك Madarek




















المرأة
والولاية العامة


السيد علي الأمين


السيد علي الأمين
الأحزاب الدينية


صورة أوروبا
في
الأدب العربي الحديث

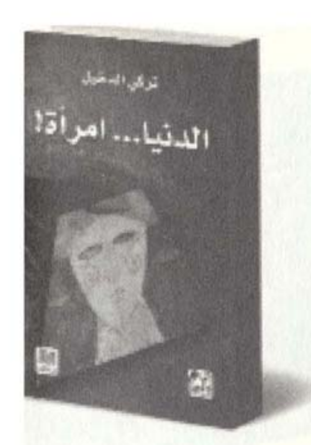

تشيع العوام
وتشيع الخواص


حكاية اسمها


أمريكا
في مرآة عربية


أمريكا
في مرآة عربية


كنا في إسرائيل


تركي الدخيل
الدنيا... امرأة!


سلطان العودة
تركي الدخيل




المجتمع
الأحسائي المعاصر


نازح من جازان


تغطية العالم!
بدعة الإلزام بتغطية الوجه

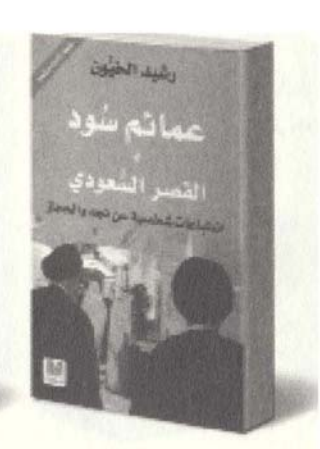

خارج الطائفة

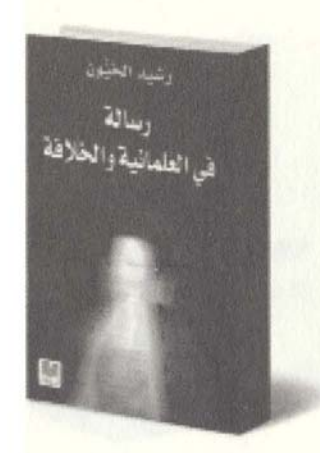

بيكاسو
وستاربكس
ياسر حارب
STARBUCKS
COFFEE


عبدالله المغلوث
كخه
يا
بابا


بَعد إذنِ الفقيه


تلخيص البَيانِ
في ذكر
فِرقِ أهلِ الأديانِ


رشيد الخيّون
عمائم سُود
القصر السعودي


رشيد الخيّون
رسالة
في العلمانية والخلافة

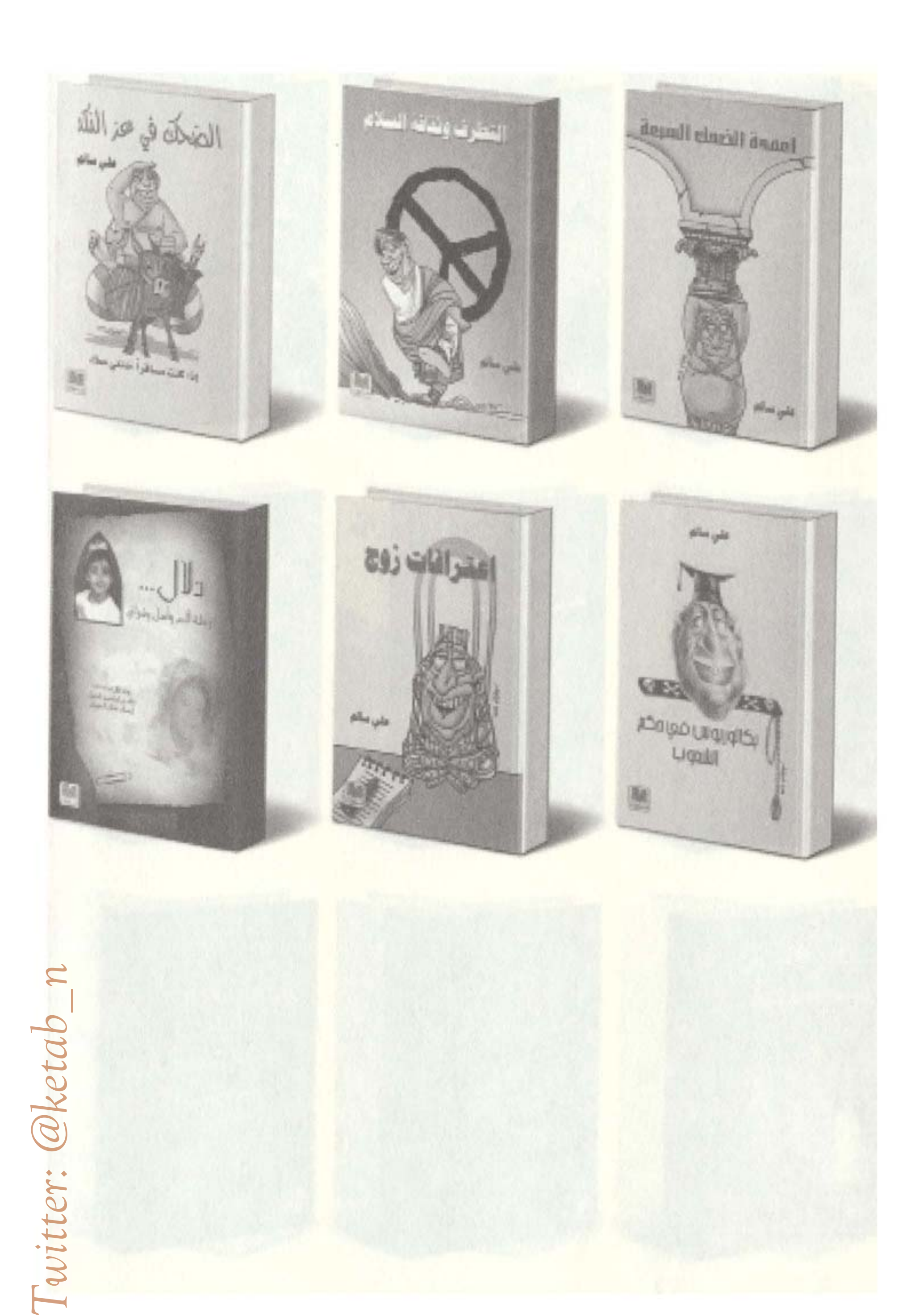

رشيد الخيّون
ضد الطائفيّة


رشيد الخيّون
لا إسلام بلا مذاهب


الحب والفراق
إنه محمد عبده يماني


رشيد الخيّون
مُعتزلة
البصرة وبغداد


رشيد الخيّون
جدلُ التنزيل
مع كتاب
خلق القرآن للجاحظ


الضحك في عز النكد
اعترافات زوج
دلال...

الصندوق الأسود...

ولو كان بيدي لقلت اللؤلؤ المكنون.

بعد أن يقول «ظللت سنوات طويلة أتابع الكثير من الأقلام السعودية بمتعة، كنت أتساءل من هؤلاء؟ أين نبتوا؟...» يروح إليهم عبد الله المغلوث، بقلم يسيل إبداعاً، معرِّفاً تارة ومحاوراً تارة أخرى، وفي الحالين كأنه مع قصيدة عصماء أو لوحة فنية ساحرة.

كوكبة من اللامعين في الأدب والصحافة والإعلام، يفتح معهم صندوقهم الأسود قبل حصول الطارىء.

صندوق الشاعر أحمد الملا الذي «خرج من رَحِم نخلة» أو «عاش في غابة كتب». ثم صندوق الروائية والكاتبة الصحافية بدرية البشر التي «تكتب الرواية كأنها تخبز الكعك» والتي «تفوح رائحة الحليب والسكر المطحون والفانيليا من قصصها».

وصندوق الصحافي والإعلامي تركي الدخيل «الذي لم تعد أحلامه مسجونة في صدره كعصافير بأجنحة ناقصة». والذي لايحمل حقيبة سوداء خشنة، لكن يخبئنا في جيوبه ونصغي إلى أصواتنا في أسئلته».

ثم صندوق سليمان الهتلان «راعي الغنم الذي أصبح كاتباً في النييورك تايمز والذي كان يغني مع الأطفال عند استقبال المطر «جانا الحيا جانا ...ورش معزانا».

صناديق كثيرة في الكتاب، فتحها المغلوث فظهرت كنوز وتجارب تتراوح بين التعب والفرح والإبداع.


ISBN 978-9953-566-14-6
9 789953 566146

